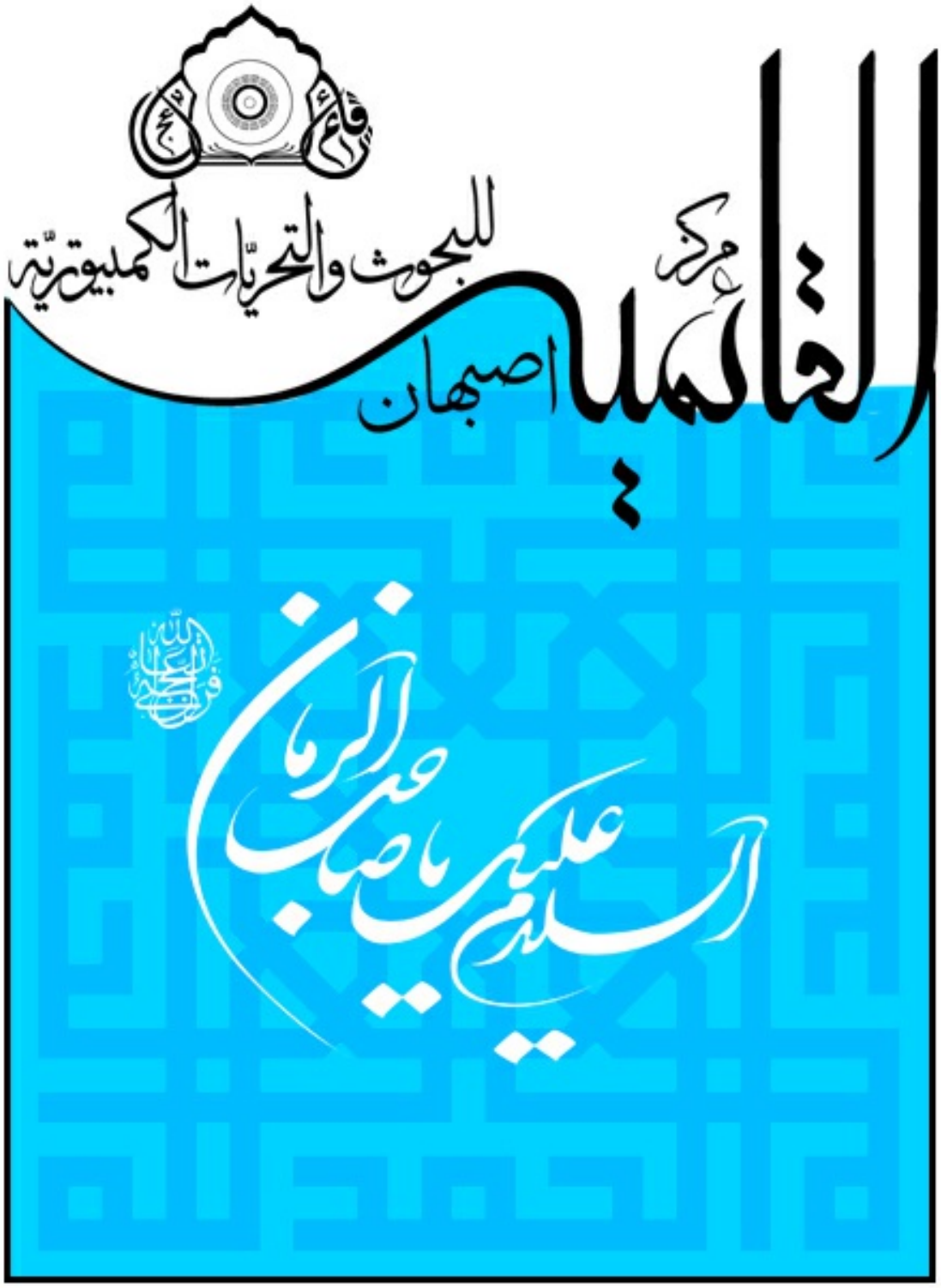

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تاريخ الشيعة السياسي

غزوة الأحزاب - الدولة العلوية

تأليف

السيد عبد الستار الجنابي

٥٤

بسم الله الرحمن الرحیم

تاريخ الشيعه السياسي

كاتب:

محمد على الحلو

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

تاريخ الشيعه السياسى 8

اشارة 8

اشارة 8

مقدمة اللجنة العلمية 12

المقدّمة 16

اشارة 16

الضرورة الداعية لكتابة البحث 18

معوقات البحث 20

بين يدى البحث 21

الفصل الأول: الأوضاع السياسية للدولة الإسلامية بعد غزوة الأحزاب 22

اشارة 22

صلح الحديبية وأثره فى واقع المسلمين السياسى 30

فتح مكة وأثره فى الواقع السياسى 32

الوضع السياسى بعد فتح مكة 33

الصراع مع الدول الكبرى 34

تحديات المرحلة الجديدة 35

المخاطر التى واجهت الدولة 39

الأوضاع السياسية بعد حجة الوداع 40

محاولات النبى صلى الله عليه وآله وسلم افشال مخطط القرشيين 44

المدينة عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم 48

الفصل الثانى: أبو بكر فى مواجهة التحديات 54

اشارة 54

أ _ التحديات داخل المدينة 56
اشارة 56
المواجهة بين أمير المؤمنين عليه السلام والسلطة الحاكمة 57
الزهراء عليها السلام تتحدى 59
أمير المؤمنين عليه السلام فى المواجهة 61
الهجوم الثانى على دار فاطمة عليها السلام 62
أمير المؤمنين عليه السلام فى المسجد النبوى 64
الشيعة فى مواجهة السلطة 65
ب _ التحديات خارج المدينة 67
التحول فى الوضع الشيعى 69
أوضاع الشيعة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم 70
تطورات التصدى الشيعى 72
طلبت منهما الزهراء عليها السلام أنْ يصدقاها الحديث لتستبين صحة 75
الفصل الثالث: الشيعة فى عهد عمر بن الخطاب 78
اشارة 78
اعتراض القرشيين على تنصيب عمر 81
عمر فى مواجهة التحديات 82
طبيعة التحديات 83
الشيعة فى مواجهة المخطط 89
الشورى العمرية 92
الفصل الرابع: الأوضاع السياسية أيام عثمان بن عفان 98
اشارة 98
تطور الأزمات السياسية 103
سياسة العائلة الاموية فى مواجهة المعارضين 104
القضاء على عثمان 109

أوضاع البلاد إبّان مقتل عثمان ـــــــ 112
الأوضاع بعد قتل عثمان ـــــــ 115
الفصل الخامس: الدولة العلوية ـــــــ 118
اشارة ـــــــ 118
تحديات الدولة العلوية ـــــــ 121
القوى السياسية وتأثيرها فى الساحة الإسلامية ـــــــ 122
تطورات الأوضاع السياسية قبل معركة الجمل ـــــــ 123
البصرة فى تخطيط الناكثين ـــــــ 129
نتائج حرب البصرة ـــــــ 135
وقعة الجمل فى الإعلام المعادى لأمير المؤمنين عليه السلام ـــــــ 136
اختيار الكوفة عاصمة للدولة العلوية ـــــــ 138
أوضاع الشام ـــــــ 139
ما قبل صفين ـــــــ 141
معركة صفين ـــــــ 142
قصة الحكمين ـــــــ 149
معركة النهروان ـــــــ 150
أوضاع الدولة بعد سقوط مصر ـــــــ 152
الأوضاع السياسية فى خلافة الإمام الحسن عليه السلام ـــــــ 154
نتيجة البحث ـــــــ 158
المحتويات ـــــــ 162
تعريف مركز ـــــــ 176

تاریخ الشیعه السیاسی

اشارة

رقم الإیداع فی دار الکتب والوثائق فی بغداد

وزارة الثقافة العراقیة لسنة 2011 (163)

الجابری، عبدالستار.

تاریخ الشیعة السیاسی: غزوة الأحزاب - الدولة العلویة / تألیف عبدالستار الجابری / [تقدیم اللجنة العلمیة، محمدعلی الحلو]. - کربلاء: العتبة الحسینیة المقدسة - قسم الشؤون الفکریة والثقافیة، 1432ق. = 2011م.

160 ص. - (قسم الشؤون الفکریة والثقافیة فی العتبة الحسینیة المقدسة؛ 54)

المصادر فی الحاشیة.

1 . الشیعة - تاریخ - 4 - 41 ق. - دراسة وتعریف. 2 . الشیعة والسیاسة. 3 . الشیعة - تاریخ - أحادیث. 4 . علی بن أبی طالب علیه السلام، الإمام الأول، 23 قبل الهجرة - 40ق. 6 . الخلفاء الراشدین - تاریخ. 7 . فاطمة الزهراء (س)، 8؟ قبل الهجرة - 11ق. - تعقیب وایذاء. 8 . الشیعة - تعقیب وایذاء. ألف. الحلو، محمدعلی، 1957 - م، مقدم. ب. العنوان.

2 ت 2 ج / 08 / 239 BP

تمت الفهرسة فی مکتبة العتبة الحسینیة المقدسة قبل النشر

ص: 1

اشارة

بسم الله الرحمن الرحیم

تاريخ الشيعة السياسى

غزوة الاحزاب - الدولة العلوية

تأليف

السيّد عبد الستّار الجّابرى

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1433هـ - 2012م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

مقدمة اللجنة العلمية

يُعد البحث فى التاريخ السياسى الشيعى من متطلبات البحث الذى يسعى للوقوف على حيثيات المجريات التاريخية الإسلامية، إذ المقطع السياسى التاريخى له أهميته القصوى فى بيان الدواعى للمواقف اللاحقة التى أحدثت علامة فارقة لنشوء «الطور» السياسى الإسلامى والذى أغدق على الأحداث مواقف تنبع من رؤية إسلامية تتجلى على أساس فلسفات أصحابها وتوجهاتهم، وهكذا أربد الوجه الناصع للتاريخ الإسلامى بمواقف غير مسؤولة نمت وتصاعدت وتيرتها على أساس الدواعى السياسية والمصالح الشخصية للحاكم أو لفريق عمله، وإذ نؤكد أن التاريخ السياسى للشيعة هو وحده سيقدم تعريفة صحيحة للرؤية الإسلامية الناصعة، فإن المواقف الأُخَر لغير الشيعة تنطوى تحت راية الحاكم من دون أن يكون للمحكوم فيها موقف ما، وبمعنى آخر فإن خط المعارضة هو الذى سيخلق متطلبات الملامح السياسية ويؤصّل للموقف السياسى كذلك، ومل يكن سوى الشيعة الذين دخلوا فى برنامج المعارضة السياسية - منذ مدّة ما بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى يوم الناس هذا - واستفحلت المعارضة السياسية الشيعية بوصفها ظاهرة لها ملامحها الخاصة بها، وتضخمت عقدة الحاكم حيال هذه الظاهرة السياسية حتى أدخلت ضمن يومياته العملية، واستقرت فى الضمير الإنسانى صورة المعارضة الشيعية المضطهدة فباتت تقرأها

المـدارس السياسـية العالميـة على أنها المعارضـة الأنضج فى برنامجها، والأرشد فى أسـلوبها، وتوالت الدراسات لهذه الظاهرة السياسـية الشـيعية وعنت بها المطولات السياسـية فى قراءاتها لفقه هذه المعارضة حتى قرّضـها الكثير من قادة الحركات التحررية، والسياقات الثورية التى لهجت بمواقف على – الحسن – الحسـين ومن ثم الزهراء عليهم السـلام، أولئک الـذين خلقوا المجـد للتاريخ السياسـى المعارض، وأصّلوا قواعده وأسـسوا مبانيه، وبقيت برامج المعارضة السياسـية الناضـجة حكراً للموقف الشـيعى الذى يسـتمد تراثياته من القرآن الكريم والسـنة النبوية ومواقف أهل البيت ومن تبعهم من أصـحابهم وأشياعهم. والذى بين أيدينا بحث من بحوث الطراز السياسى المعارض الذى طالما شـغف به القارئ ليقرأه على أنه التوجه الذى يتناغم مع متطلبات الموقف الإنسانى ليقرأ فيه الإنسانية المعذبة برموزها على – الحسن – الحسـين ومن ثم فاطمة الزهراء عليهم السـلام ومن سار على منهجهم أمثال سـلمان، أبو ذر، المقداد، عمار، بلال، أبو الهيثم بن التيهان، وغيرهم، أو الـذين يمثلون المرحلـة الثانيـة من المعارضة أمثال ميثم التمار، حجر بن عدى، سـعيد بن جبير، وغيرهم، وهكذا تنامت حركة المعارضة لتقرأها على أساس تاريخى له دواعيه ومقتضياته.

والمشـكلة الأساسـية فى مثل هـذا المقطع التاريخى أن صانعوه من معارضـة النظام الحاكم، وكاتبوه من صـنائع النظام الحاكم وبين هؤلاء وأولئـک بون شاسع فى الرؤيـة، وفيصل واسع من المواقف، فهؤلاء حريصون على أن يقـدّموا الإسـلام بأطروحـة التأصـيل، وأولئک قـدّموا الإسـلام بأطروحـة التأويل، وبين التأصـيل والتأويل كذلک بون شاسع، وما تزال المطاردة بين الأطروحتين على أشدها، وما يزال الاختلاف بين الفلسفتين فى أوجه، من هنا ما تزال ماكنة الحاكم تصطنع التأويل، وما يزال العقل السياسى الشيعى يبتكر التنظير.

وسنجد فی البحث الذی قدمه السید الکاتب صیغة أخری للتراث السیاسی الشیعی الممتحن فی کتابته، والمبتلی فی قراءاته متعددة الأطراف مختلفة المذاقات، والقراءة المقدمة لنا ستشارک فی التقلیل من عبء البحث إلی فضاءات رحبة من التحقیق والتدقیق.

اللجنة العلمیة

السید محمد علی الحلو - النجف الأشرف

المقدّمة

اشارة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الغر الميامين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

للبحث التاريخى دور هام فى الوقوف على أحداث لها أثر فى تاريخ الإنسانية، وبعض هذه الأحداث بالإضافة إلى مالها من بعد تاريخى لها أثر مهم فى فهم الواقع السياسى والفكرى الذى كانت تعيشه أُمّة من الأمم فى مدّة من تاريخها.

وإذا كتب لأمة من الأمم أنْ يكتب تاريخها بنزاهة كان الوقوف على حقيقة الأحداث أمراً سهلاً ميسوراً، إلاّ أن المشكلة تقع عندما يزوّر التاريخ ويسعى المؤرخون ومن يقف وراء مشروعهم الإعلامى إلى طمس الحقائق وتشويهها خدمة للمصالح الضيقة لأرباب السياسة.

والطائفة الشيعية من الفئات التى تعرض تاريخها للهظم والظلم والتشويه والتى مُورس تجاهها الظلم على مر العصور واختلاف الأنظمة الحاكمة، ولم يشهد التاريخ الشيعى إلا أزمان قليلة من الانفراج السياسى التى أسهمت فى حفظ بعض الإشارات عن تاريخ الشيعة وتدوينها، ومع ذلک لم تسلم جل تلک الكتابات من المطاردة والمتابعة والإتلاف بعد عودة سياسة العداء للشيعة شأنها فى ذاک شأن ما له صلة بالتشيع.

فمثلاً من أوائل ما كتب عن تاريخ أهل البيت عليهم السلام كتاب سليم بن قيس الهلالى الذى كتبه رغم الظروف الصعبة التى كان يعيشها شيعة أهل البيت عليهم السلام وكابد الشيعة لأجل حفظ هذا التراث ألوان الصعاب.

عن المعاناة التى عاشها كتاب سليم يقول الشيخ محمد باقر المحمودى فى مقدمته لتحقيق الكتاب

(الميزة الثالثة: صراحته رغم ظروف تأليفه الخانقة فقد كتبه سليم فى عصر المنع المطلق من تدوين أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم حتى ما يتعلق منها بالسنن والأحكام الشرعية بل لقد منعت الدولة حتى مجرد رواية الحديث النبوى، حتى فى المسجد، وحتى من كبار الصحابة فى مثل تلك الظروف الخانقة، قام سليم بن قيس بتسجيل هذه الحقائق التاريخية والعقائدية وتدوينها فى كتاب، وكان يجمع أحاديثه من الأئمة الأطهار عليهم السلام والصحابة الأبرار ويكتبها فى كتابه على خوف ووجل، لأن الدولة لو اطلعت على ذلك لكان ذلك برأيها سبباً كافياً لإعدام المؤلف، ومن جهة أخرى فقد دوّن سليم مخالفات حكام عصره الذين كان يعيش معهم، واستطاع أن يخفى ذلك عن عيونهم. وقد كان لحرصه على كتابه، يحمله معه فى أسفاره وتنقلاته العديدة، خاصة بعد أن تسلط بنو أمية وأخذوا يطاردون شيعة على عليه السلام. وفى آخر عمره المبارک عند ما كان الحجاج يتتبع من بقى من أصحاب على عليه السلام ليقتلهم، اختفى سليم وتنقل من بلد إلى بلد ما بين نجد ومكة والمدينة والكوفة والبصرة.. ثم عبر إلى أرض فارس ووصل إلى نوبندجان، وهناک فى بيت أحد أصدقائه أبان بن أبى عياش حط به المرض وجاءه الأجل، وكان لابد من البوح بالسر وايصال الأمانة إلى أهلها. فأخذ على أبان الأيمان، وكشف له حقيقة أحداث عاشها وشاهدها وسجلها، وقرأ عليه الكتاب، وأودعه عنده، ليوصله إلى أهله وقد حافظ أبان على

الأمانة، وحمل الكتاب بعد وفاة سـليم إلى علماء البصرة، فنسخه بعض الرواة والعلماء رغم تلك الظروف الصعبة وانتشرت نسخه منهم عبر الأجيال.. حتى وصل إلينا).

فالنتيجة أنّ التاريخ الإسـلامى وللأسف الشديد لم تكتبه الأيدى الأمينة بل كان لأهواء السـلاطين دور كبير فى كتابة التاريخ، ولم يقتصـر ذلك على المؤرخين بل عمّ المحدثين والمفسـرين حتى أنّ القارئ بتفحص يشم عفونة التزوير، فمثلاً يجد القارئ فى بعض الكتب دعوى أنّ أمير المؤمنين عليه السـلام أراد أن يتزوج بابنة أبى جهل مع وجود الزهراء عليها السـلام وأنّ النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم كان يقف على باب فاطمة يدعوهم إلى الصـلاة فكانوا يجادلون النبى صـلى الله عليه وآله وسلم حتى ينصرف وهو يتلو قوله تعالى وكان الإنسان أكثر شيئاً جدلاً، وأنّ أبا طالب فى ضـحضاح من نار وأن الملائكة تنزل لقراءة فلان، ولو كان نبياً بعد النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم لكان فلاناً وغيرها من الافتراءات والأكاذيب.

الضرورة الداعية لكتابة البحث

وبسـبب التزوير الذى تعرض له التاريخ الإسـلامى بنحو عام والشيعى بنحو خاص، ولأهمية كتابة التاريخ الشيعى على الأسس الموضوعية والعلمية بعيداً عن تزوير السـلطات الحاكمة والتعصـبات المذهبية المقيتة وجدت من الضرورى القيام بدراسة لتاريخ الشيعة السياسى منذ فجر الإسـلام وحتى العصـر الحاضـر لأن تاريخ الشيعة هو تاريخ الإسلام الحقيقى وتاريخ التبعية الحقيقة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الكرام عليهم الصلاة والسلام.

يمكن القول إنّ تاريـخ الشـيعة العلمى يمكن الوقوف عليه بسـهولة للمؤلفات القيمة التى دوّنها علماء الشـيعة فى مختلف أبواب العلوم فقهاً وأصولاً وكلاماً، ولكن

التاريخ السياسى الشيعى لم يسبق أن وضعت له دراسات تتناول التاريخ السياسى الشيعى العام وإن كانت هناك جملة من المباحث التاريخية التحليلية التى تناولت بعض الشخصيات المهمة فى تاريخ الإسلام ككتاب سليم رضوان الله عليه والجمل للشيخ المفيد رضوان الله عليه ومثير الأحزان لابن نما الحلى رضوان الله عليه وجملة من كتابات السيد ابن طاووس رضوان الله عليه وجملة من الكتابات المتأخرة ككتاب الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام ومأساة الزهراء عليها السلام للسيد العاملى، وبعض كتابات الشيخ شمس الدين رحمه الله بالإضافة إلى جملة من كتابات الكتاب المتأخرين والمتقدمين، ولكن تلك الكتابات لم تتناول التاريخ الشيعى بما هو بل تناولت تاريخ الشيعة ضمن دائرة الشخصية التى تناولتها أبحاثهم، والأبحاث التى أشرنا إليها ومثيلاتها لها دور كبير فى تفسير جملة الأحداث التى مر بها التاريخ السياسى الشيعى فهى تمثّل خطوة فى طريق التكامل فى البحث التاريخى فلأولئک الكرام من الكتاب نتقدم بأسمى آيات العرفان بالجميل لما بذلوه من جهد فى تحقيق جملة من المسائل التاريخية التى تساعد الباحث فى علمية البحث وتختصر له الطريق.

ولكن يبقى التاريخ العام بحاجة إلى تدوين وكتابة للوقوف على التاريخ المشرق للشيعة ودورهم المشرف على مختلف أدوار التاريخ.

وبالإضافة إلى هذا الواقع العلمى فإن جل القطاع العام من الشيعة يجهل تاريخه السياسى بسبب الاضطهاد الذى تعرض له الشيعة على مر العصور، حيث كانت السياسات الحاكمة ومنذ وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإلى اليوم تأخذ العداء لكل ما يمت للشيعة والتشيع ديناً وديدناً ونتج عن ذلک تجهيل الشيعة بتاريخهم المشرق ومصادرة المجهود الشيعى الذى كان له أكبر الآثار فى التاريخ السياسى المعاصر للعراق ولبنان وإيران بوجه خاص وللشرق الأوسط بوجه عام.

معوقات البحث

لما كان البحث يقع فی التاریخ السیاسی للشیعة فهو یواجه جملة من المشاکل أهمها عدم تحقیق تاریخ الشیعة السیاسی حتی من قبل الکتاب الشیعة فهو لیس کعلوم الفقه والأصول والکلام والفلسفة التی بحثت فی کلیاتها وجزئیاتها، فالباحث یواجه مادة خام لم یسبق تحقیقها.

والمشکلة الثانیة أنّ هذه المادة الخام لا تعانی من عدم التحقیق فقط، بل إنّ للأهواء دوراً کبیراً فی تشویهها والعبث بها، مما یستدعی من الباحث المنصف جهداً مضاعفاً فی سبیل الوقوف علی الصحیح من السقیم من بین کم کبیر من النصوص التاریخیة.

والمشکلة الثالثة التی یواجهها الباحث غیاب کتب التاریخ الشیعیة التی کتبت فی الأزمنة المتقدمة بسبب المطاردة والتضییق التی تعرض لها الکتاب والمکتبة الشیعیة علی مر العصور، وهذا الغیاب للکتاب الشیعی یجعل مهمة الباحث صعبة لأن علیه أن یقف علی جملة من الأحداث التاریخیة من کتب لم یتصف مؤلفوها بالموضوعیة والحیاد والإنصاف وهنا یبرز العناء بنحو واضح إذ علیه الوقوف علی الروایات المختلفة فی الموضوع الواحد، وأن یراجع تراجم الرجال، للوقوف علی الحقیقة.

ولولا ما تلطف الله تعالی به من قیام بعض الدول الشیعیة فی أزمان متباعدة من تاریخ المسلمین لتعرض التراث الشیعی إلی تضییع أکبر ولکن تلک الدول وببرکة العلماء الکبار الذین بذلوا جهداً کبیراً فی حفظ تراث أهل البیت علیهم السلام حفظوا للشیعة جزءاً مهماً من تاریخهم الناصع، وعلی رأسهم العلامة المجلسی رضوان الله علیه صاحب بحار الأنوار التی کانت بحق بحاراً من النور.

وفی الختام أدعو الله عز وجل أنْ یوفقنی لإتمام هذا البحث وأن یکون ما أقوم به

من جهـد محل قبوله ورضاه وأن يكون خالصاً لوجهه الكريم و ينفعنى به يوم الـدين، وأن يكون محل رضا سادة الخلق محمـد وآله الطيبين الطاهرين وأن يرزقنى شفاعتهم وحبهم وجوارهم فى الدنيا والآخرة.

بين يدى البحث

بعد هجرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة المنورة شكلت نواة الدولة الإسلامية الكبرى فيها، ولكل كيان سياسى فتى العديد من الأعـداء ويواجه العديـد من المخاطر والتحـديات، ولهـذا السـبب فى هذه المرحلة من حياة الدولة النبوية المباركة لم تظهر على الصـعيد العملى تيارات وحركات سياسـية تعمل بصورة واضـحة على السـيطرة على مقاليـد الحكم بعد رحيل الرسول الأعظم صـلى الله عليه وآله وسـلم، إلاّ أنه بعد فتح مكة وانتقال الطلقاء من مكة إلى المدينة بدأت مرحلة الاسـتعداد للسـيطرة على السـلطة وإزاحة منصب السـماء عن موضـعه الذى أراده الله تعالى له، فظهرت العديد من الاتجاهات فى وسط المجتمع المسـلم، وحيث أن بدأ توسع الدولة النبوية وانتشارها خارج حدود المدينة المنورة، وهى المدّة الزمنية التى قاربت ظهور هذا النحو من التحرك السياسى كان بدأ البحث من بعد غزوة الأحزاب.

مع العلم أنّ التشـيع قرين الإسلام منذ البداية لم ينفك عنه، كيف وأول من دعا الناس إلى إتباع أمير المؤمنين عليه السلام بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو صاحب الرسالة الغراء.

الفصل الأول: الأوضاع السياسية للدولة الإسلامية بعد غزوة الأحزاب

اشارة

بعد أن أجلى النبى صـلى الله عليه وآله وسلم يهود بنى النظير عن ديارهم عمد زعماؤهم لحشد صفوف المشركين واليهود فى جبهة واحدة ضـد النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فطلبوا من زعمـاء قريش أن يساعـدوهم فى القضـاء على النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فأجـابهم القرشـيون إلى طلبهم، ثم طلبوا من غطفان وبنى سـليم وبنى أسد الاشتراك معهم فأجابوهم أيضاً، وضمن يهود بنى النظير لمشركى العرب أن يساعدهم فى القضاء على النبى صلى الله عليه وآله وسلم يهود بنى قريظة.

وعلم المسلمون بعزم المشركين على غزوهم فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بحفر الخندق لمنع المشركين من اقتحام المدينة.

لما وصل المشـركون المدينـة فوجئوا بالخنـدق لأنه من الوسائل الدفاعيـة العسـكرية التى لم يعهـدها العرب فى معاركهم، فعسـكروا عند الخنـدق إذ ليس لهم طريق آخر إلى المدينـة، لأن أطراف المدينـة الأخرى فيها بساتين المدينـة وبيوتها وعنـد مهاجمـة المدينة من خلالها تتحول الحرب إلى حرب شوارع والفوز فيهـا سـيكون حليفاً لأهل المدينـة المتمرسـين على حرب الشوارع، فضـرب المشـركون طوقاً حول الخندق ودام الحصار أكثر من عشـرين يوماً وكان عدد القوات المحاصـرة زهاء عشـرة الآف مقاتل، بينما لم يتجاوز جيش المسـلمين ثلاثة الآف مقاتل.

وفى هذه المدّة سعى زعماء بنى النظير لإقناع بنى قريظة لنقض عهدهم مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاستجابوا لهم بعد طول امتناع.

وطول مـدة الحصار لـم يحصل سوى التراشق بالنبال، ولـم تقع مبارزة بين الفريقين الا عنـدما اقتحم بعض أبطال قريش الخندق فتصدى لهم أمير المؤمنين عليه السلام.

كانت غزوة الأحزاب تمثل نقطة انعطاف فى التاريخ العسـكرى والسياسـى للدولة الإسلامية، فالعرب كانوا معتادين على الحروب السريعة ذلک لأنهم لـم يكونوا يعيشون فى المدن المحصـنة، لذا كانت حروبهم سـرعان ما تندلـع ويحدد النصـر والهزيمة فى وقت قصـير نسبياً، وهـذه هى الحالـة العامـة فى المعارک التى كانت بين القبائل العربيـة، وبين المشـركين وقوات المسـلمين فى بدر وأحد وحنين وغيرها من المعارک، فكان طول مدّة الحصار التى دامت أكثر من عشـرين يوماً قد أوقع السأم والضجر فى نفوس القـوات المحاصِرة كما أنه كان باعثاً للقلق والاضطراب والحيرة والخوف فى نفوس القوات المحاصَرة.

ونتيجة للسأم والضجر اقتحم بعض البواسل من فرسان قريش الخندق وهم عمرو بن عبد ود العامرى الذى كان يعد بألف فارس وعكرمة بن أبى جهـل المخزومى وضـرار بن الخطـاب الفهرى وهبيرة بن وهب ونوفل بن عبـد الله، ودعا عمرو المسـلمين للمبارزة فلم يسـتجب أحد فنهض أمير المؤمنين عليه السلام لمبارزة عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

برز الإيمان كله إلى الشرک كله.

فبارز عليه السلام عمرواً وقتله بينما فر الباقون. وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ضربة على يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين.

كان لقتل عمرو بن عبد ود أثر سـلبى كبير فى نفوس القوات المحاصـرة وهى الحقيقة التى كشف عنها قول النبى صـلى الله عليه وآله وسلم عند تقدم أمير المؤمنين

عليه السلام لقتال عمرو بن عبد ود خرج الإيمان كلّه إلى الشرک كلّه، فكان مقتل عمرو يعد خسارة عظمى للمشركين وعاملاً أساسياً من عوامل انكسارهم فيما بعد، وفى المقابل كان مقتله فوزاً كبيراً للمسلمين وعاملاً من عوامل اشتداد عزيمتهم.

لكن مقتل عمرو بن عبد ود على ما تركه من الآثار النفسية السلبية لم ينه حصار المشركين للمدينة لأن عددهم الضخم ودعم اليهود لهم كان يهون عليهم خسارتهم عمرواً.

وفى هذه الظروف العصيبة هدى الله نعيم بن مسعود الأشجعى للإسلام فجاء سراً إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأعلن إسلامه وطلب من النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يأمره بأمره فإن شاء التحق نعيم بصفوف المسلمين عند الخندق وإن شاء أوقع الفتنة فى صفوف المشركين واليهود وفتَّ وحدة صفهم، فأمره النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يسعى ما أمكنه فى إضعاف صفوف المشركين لأنه انفع فى الظرف الفعلى إذ هو ليس إلاّ رجلاً واحـداً، ووجوده بين المسلمين عند الخندق لن يغير شيئاً فى الموازين العسكرية.

فذهب نعيم إلى بنى قريظة وكان صديقاً لهم قبل إسلامه وأشاع بينهم أن قريشاً إن طال زمن الحصار ولم تظفر بالمسلمين عادت إلى بلادها وتركتهم، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم أشار عليهم أن يطلبوا من قريش رهائن من أشرافهم ورؤسائهم فإن قريشاً لن تترک أولئک وتذهب، وطلب منهم أن يكون ما أخبرهم به سراً فوعدوه بذلک، ثم ذهب إلى قومه وهم غطفان وإلى قريش فأخبرهم أنّ اليهود طال عليهم العهد وهم ينوون العودة إلى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويريدون أنْ يبرهنوا له على صحة دعواهم وصدق نواياهم بتسليمه مجموعة من أشراف قريش ليقتلهم

وطلب إليهم أن يكون ذلک سراً بينه وبينهم.

كان ما قام به نعيم بن مسعود عاملاً مهماً فى زعزعة الثقة بين اليهود والمشركين، فى الوقت الذى كانت قوات المشركين تعانى من نقص المؤن ذلک لأنهم لم يتوقعوا محاصرة المدينة هذه المدة الطويلة.

والمشكلة الأهم تنصل اليهود من وعودهم فى مساعدتهم فى القضاء على الدولة النبوية وخشى المشركون شيوع خبر تنصل اليهود مما سيفت فى عضد القوات المحاصرة فقرروا الإسراع فى مهاجمة المدينة إذا اطمأنوا من كون اليهود إلى جانبهم، فأرسلوا إلى اليهود يطلبون منهم مهاجمة المدينة من الخلف بينما يقومون هم بالهجوم من حيث أمكنهم اقتحام الخندق، فرفض اليهود الاشتراک فى القتال ما لم يقدم لهم المشركون رهائن من ساداتهم فرفض المشركون ذلک ونتج عن ذلک تفتيت جبهة الكفر حيث لم يعد فى مواجهة المسلمين سوى مشركى العرب.

بدأت مجموعة من التحديات تواجه القوات المحاصِرة:

1_ العامل النفسى فالسأم والضجر بدا واضحاً بين صفوف المشركين.

2 _ نقص المؤن الذى تحتاجه القوات لإدامة الحصار مع الكم العددى الكبير الذى يشكله الجيش مقاتلة ودواباً.

3 _عدم الاطمئنان إلى النتائج لما رأوه من شدة الصبر الذى تمتع به المسلمون طيلة الحصار والمراقبة المستمرة للأماكن التى يتوقع تسلل المشركين منها إلى وراء الخندق.

4 _ بالإضافة إلى قتل عمرو بن عبد ود الذى كان لوحده عاملاً نفسياً سلبياً بين صفوف المشركين.

وبالإضافة إلى الأسباب المتقدمة عملت يد الغيب عملها فى إنهاء الحصار وتحطيم غطرسة المشركين العسكرية والسياسية أمام الدولة النبوية حيث أرسل الله تعالى الرياح العاصفة الباردة والظلام الدامس فأكفأت القدور واطفأت النيران فكان واحدهم لشدة الظلمة لا يرى من إلى جنبه فقرر زعماء قريش إنهاء الحصار والعودة إلى مكة، وأول من ارتحل أبو سفيان وفى الصباح علم شركاء قريش بترك قريش حصار المدينة فعادوا أدراجهم إلى بلدانهم.

كان فشل المشركين فى القضاء على الدولة الإسلامية فى غزوة الأحزاب يعدّ فتحاً مبيناً للمسلمين وأضاف إلى قوتهم العسكرية والسياسية الشىء الكثير، حيث أصبحت المدينة بعد الأحزاب مركزاً سياسياً وعسكرياً مرهوب الجانب عند قبائل العرب وفى المقابل فقد المشركون الثقة بقدراتهم أمام قدرة الدولة الإسلامية، كما أنه لم يعد هناك احتمال لجمع قوى الشرك مرة أخرى لمهاجمة الدولة النبوية لأن تلك التجربة كانت الأولى وانتهت بالفشل الذريع.

وبعد الأحزاب لم يعد هناك خطر عسكرى يواجه المسلمين عدا ما يمكن أن تقوم به قريش من هجوم عسكرى إلاّ أن الظروف العسكرية التى يعيشها القرشيون لا تساعدهم إلى المبادرة بالهجوم العسكرى على المدينة لقوة المسلمين العسكرية التى جربوا حظهم معها فى بدر وأحد، وعدا قريش من قبائل العرب لم يكن لها دافع خاص ولا منافع خاصة تشجعهم لخوض المعارك ضد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهم يعلمون مدى القوة والمنعة التى يتصف بها أهل المدينة المنورة.

بقى هناك خطر مهم لابد للمسلمين من اجتثاثه لأنه من الممكن أن يتحول إلى خطر جدّى فى أى لحظة من اللحظات وهو خطر يهود بنى قريظة الذين من الممكن أن يغدروا بالمسلمين خاصة وأنهم نكثوا العهد الذى كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه

وآله وسلم فقرر النبى صلى الله عليه وآله وسلم التوجه إليهم بعد الفراغ من الخندق مباشرة.

قاد النبى صلى الله عليه وآله وسلم جيش المسلمين وحاصر اليهود، فاستسلموا بلا قتال ونزلوا على حكم سعد بن معاذ الأنصارى رضوان الله عليه الذى حكم بقتل الرجال وسبى النساء والذرية وتقسيم الأموال بين المسلمين.

وهكذا زالت المخاطر القريبة التى كانت تهدد الدولة النبوية وبدأت الدولة الإسلامية مرحلة جديدة من مراحل وجودها السياسى.

وبعد هزيمة الأحزاب وبنى قريظة توالت غزوات النبى صلى الله عليه وآله وسلم(1) وكان النصر حليفه فى جميع غزواته مما كان يزيد فى قوة الموقع السياسى والعسكرى للدولة النبوية ذلك لأن بلاد مشركى العرب التى يفتحها النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا محيص لها من دخول الإس_لام فتضاف إلى دولته صلى الله عليه وآله وسلم والتى لم يغزها بعد تدخل فى عهده صلى الله عليه وآله وسلم فتكون موضعاً آمناً بالنسبة للمسلمين بالإضافة إلى ما تضيفه المناطق الداخلة فى الإسلام أو المعاهدة من قوة لاقتصاد الدولة الجديدة بسبب الزكوات والأخماس التى يدفعها المسلمون والفرائض المالية التى يدفعها غير المسلمين بحسب ما يجرى عليه عقد الصلح بين الدولة الإسلامية وأهل الذمة.

1- بحار الأنوار ج20ص186, الإرشاد ج1 ص97، كنز الفوائد ص 137، الخرائج والجرائح ج1 ص215 ح59، ج2 ص954، مناقب آل أبى طالب ج2 ص324، المعيار والموازنة ص90، شرح نهج البلاغة ج19 ص62، كنز العمال ج10 ص454، تاريخ الطبرى ج2 ص 233، البداية والنهاية لابن كثير ج4 ص106، الفصول المختارة ص293، الاحتجاج ج1ص197، السنن الكبرى ج6ص308، ج9ص132، فتح البارى ج6ص176، ج7ص307، الطبقات الكبرى ج2ص65.

صلح الحديبية وأثره فى واقع المسلمين السياسى

توجت القدرة السياسية والعسكرية بصلح الحديبية الذى عقده النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع مشركى قريش سنة 6 للهجرة النبوية المباركة.

كان صلح الحديبية يعنى اعتراف قريش رسمياً بالدولة الإسلامية كقوة سياسية وعسكرية كبيرة لا يمكن لها قهرها.

فالمشركون لما علموا أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قادم إلى مكة للعمرة لم يرضوا أن يدخلها، لأن دخوله مكة بهذا النحو يعدّ إذلالاً لقريش وحطاً من قدرها السياسى بين القبائل فقرروا الدفاع عن مكانتهم السياسية مهما كلف الأمر فخرجوا لصد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكانت قريش تعلم أنها غير قادرة على استأصال النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين كما إنهم لم يرضوا بفقدان موقعهم السياسى بين القبائل، فكان الحل الوسط عقد هدنة بينهم والنبى صلى الله عليه وآله وسلم فأجابهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما طلبوا وكان من بنود المعاهدة عودة النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة فى عامه هذا والاعتمار فى العام المقبل، ومن أهم بنود المعاهدة الكاشف عن القوة السياسية للمسلمين اتفاق الطرفين على حرية القبائل فى الدخول فى عهد أى من الطرفين شاءت وهو يكشف عن اعتراف قريش السياسى بالدولة الإسلامية على أعلى المستويات(1).

1- الإرشاد ج1ص119، مناقب آل أبى طالب د1 ص174، العمدة ص163، بحار الأنوار ج20 ص317، تفسير القمى ج2 ص309 تفسير مجمع البيان ج9 ص194، خصائص الوحى المبين ص160، التفسير الصافى ج9 ص494، ج5 ص34، التفسير الأصفى ج2 ص1180 تفسير كنز الدقائق ج2 ص606، فتوح البلدان ج1 ص41 رقم 128، تاريخ اليعقوبى ج2 ص54، تاريخ الطبرى ج2 ص270، التنبيه والإشراف ص221، البداية والنهاية ج4 ص188، تاريخ ابن خلدون ق1ج2ص322، الكافى ج8 ص322 ح503، إعلام الورى ص96، 101، دعائم الاسلام ج1 ص334، شرح نهج البلاغة ج11 ص200 قصص الراوندى ص346، 348، تفسير ابن كثير ج4 ص197، تفسير القرطبى ج8 ص64، تفسير الطبرى ج26 ص96، صحيح مسلم ج3 ص1411، صحيح البخارى ج2 ص977، صحيح ابن حبان ج11 ص22، المستدرک على الصحيحين ج2 ص164ح656، سنن البيهقى ج9 ص226، مصنف ابن أبى شيبة ج7ص382، مسند أحمد ج4 ص325، 330، المعجم الكبير ج20 ص13، فتح البارى ج5ص 344، عون المعبود ج7 ص318، السيرة النبوية ج4 ص283.

وبمجرد كتابة وثيقة الصلح أعنلت خزاعة انضمامها إلى عقد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بينما انضمت بكر إلى عهد قريش.

وبعد الحديبية توسعت رقعة الدولة النبوية لتشمل الكثير من القبائل التى تسكن قرب المدينة ومكة وتزايد عدد المسلمين وأصبح الناس لا يخشون إعلان إسلامهم وغدت وفود القبائل تأتى وتعلن الإسلام وتعود إلى بلدانها، وهذا كاشف آخر عن قوة الدولة الإسلامية ففى الوقت الذى كان المسلم فى بداية الدعوة يضطر إلى اللجوء إلى المدينة المنورة أو إخفاء إسلامه، أصبح المسلم يعود إلى قبيلته وهو يشعر أن وراءه قوة تدافع عنه أعظم من القبيلة التى ينتمى إليها فإن تجاوز عليه أحد أو قتله طالبته الدولة النبوية بدمه، فأصبح غير المسلمين لا يتعرضون للمسلمين بسوء فى قبائلهم، وهذا من أوضح الدلائل على إنهيار جبهة الشرك داخلياً وتنامى القوة الإسلامية واشتدادها.

أدرك المشركون أنّ الدولة النبوية بلغت من المجد السياسى والقوة العسكرية الذروة، وأنّ سياسة النبى صلى الله عليه وآله وسلم القائمة على أساس إقامة الدولة الواحدة إذ كل من يدخل الإسلام يذعن بالطاعة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ويقيم الفرائض العبادية التى جاء بها الإسلام وعليه أنْ يمتثل مقررات الدين الحنيف، وهذا يعنى أنه لو توافرت له الظروف المناسبة التوجه بالمسلمين لفتح مكة وإدخالها فى حيز سلطته ودولته وحينئذ يصبح رؤساء المشركين من قريش كغيرهم من الناس لا يمتازون بأى ميزة عن الآخرين، فوازن

خالد بن الوليد وعمرو بن العاص(1) الأوضاع ودرسوها دراسة موضوعية فوجدوا أنّ البقاء مع قريش وعدم الالتحاق بالنبى صـلى الله عليه وآله وسـلم سيضيع عليهم الكثير من الفرص التى يمكن استثمارها فقررا مغادرة مكة والالتحاق بالمدينة لدراسة الأوضاع عن قرب لضمان مستقبلهما السياسى، فتركا مكة إلى المدينة سنة سبع هجرية وأعلنا إسلامهما.

فتح مكة وأثره فى الواقع السياسى

لم تمر بعـد صـلح الحديبية مدّة طويلة حتى فتح النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم مكة لتتحطم بذلك أهم مراكز الشـرك فى جزيرة العرب واضـطر القرشـيون لـدخول الإسـلام كرهاً بعد أن ضاقت الأرض عليهم بما رحبت فدخل الإسـلام أبو سـفيان وابنه معاوية وعكرمة بن أبى جهل _ الذى أهدر النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم دمه ولو كان متعلقاً بأسـتار الكعبة _ وغيرهم من الذين بذلوا ما وسـعهم للقضاء على الإسلام.

أصـبح الوضع السياسـى الـذى تعيشه المدينة بعد فتح مكة مغايراً لسـنى ما قبل الفتح، ذلك لأن شخصـيات مكة انتقلت إلى المدينة لأنها عاصـمة الدولة وهم يسـعون أن يكون لهم وجود فيها لضـمان أكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية والاجتماعية والمادية، وكان الوضع السياسـى الجديد يقتضى التصرف علـى الصعيد الإدارى بنحو يتناسـب مع الظروف الجديدة ففى السنوات السابقة كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا ترك المدينة لغزوة استخلف ابن أم مكتوم الرجل الضرير، بينما يكون أمير المؤمنين عليه السلام إلى جنبه، أما بعد الفتح فكان النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم إذا أراد السير إلى مكان بعيد يستخلف أمير المؤمنين عليه السلام فى المدينة احتياطاً كما حصل فى غزوة تبوك إذ لم يكن يأمن من استغلال المنافقين _ الذين كثر عددهم فى المدينة _ لظروف غيابه للقيام بانقلاب عسكرى.

1- انظر تاريخ الطبرى ج2 ص314 و البداية والنهاية ج4ص163.

الوضع السياسى بعد فتح مكة

بعد فتح مكة وسقوط أهم معاقل الشرک والوثنية فى بلاد العرب تضاعفت القدرة السياسية والعسكرية للدولة الإسلامية بنحو عام، بحيث لم تمض على فتح مكة إلاّ مدّة قصيرة حتى خضعت جزيرة العرب بتمامها للدول_ة الإسلامية والتحقت اليمن بالدولة النبوية وأصبحت حدود الدولة النبوية تمتد إلى حدود العراق الذى كان تحت سلطة المناذرة التابعين لدولة فارس من جهة، والشام التى يحكمها الغساسنة التابعين للروم الهراقلة من جهة أخرى، ويحدها الخليج العربى والبحر الأحمر والمحيط الهندى والبحر العربى وبحر عمان من الجهات الأُخَر.

كانت هذه الرقعة من الجغرافيا السياسية التى تحتلها الدولة النبوية تمثّل تهديداً للدول الأُخَر، وتواجه تهديداً منها، ذلک لأن الدولة النبوية أصبحت قوة سياسية وعسكرية إلى جنب الفرس والروم والأحباش.

من الناحية العسكرية كانت هناک جملة من الموانع الطبيعية التى تمثّل عنصر قوة للدولة النبوية منها:

1 _ إحاطتها بالمسطحات المائية الواسعة من أطراف ثلاثة.

2 _ وجود الدولة الإسلامية فى صحراء قاحلة يتعذر على الجيوش الغازية الوصول إليها الا بمؤن وميرة تكلف ميزانية الدولة الغازية الكثير مع عدم وجود ثروات عظيمة فى هذه الصحراء القاحلة تستدعى بذل مثل هذه الأموال الطائلة لاستثمار تلک الثروات.

ومن الناحية السياسية كان العداء المستحكم بين الدولتين الفارسية و الرومية عاملاً لدرء الخطر مؤقتاً عن الدولة النبوية حيث أضعفت الحروب الكثيرة كلتا الدولتين، وكانت كلتاهما تخشى القيام بمغامرة فى جزيرة العرب خوفاً من الأخرى.

هـذا بالإضافة إلى عدم الإنتباه من قبل الدولتين لخطر الدولة الإسـلامية بسـبب سـرعة إنتشار الإسـلام وبسط نفوذ الدولة الإسـلامية على جزيرة العرب فإنه يمكن القول إنّ التوسع العظيم للدولة الإسـلامية تحقق مدّة زمنية قصـيرة نسبياً فالمدّة بين عقد النبى صـلى الله عليه وآله وسلم صلح الحديبية وحتى فتح مكة لم تستغرق سوى سنتين أو ثلاث.

الصراع مع الدول الكبرى

كانت أول بوادر الصِدام العسـكرى والسياسـى بين الدولة النبوية والدول الكبرى بعد صـلح الحديبية حيث أرسل النبى صـلى الله عليه وآله وسلم كتباً إلى ملوك الدول يدعوهم فيها إلى الإسلام فأحس ملوك الدول بخطر الدولة الجديدة إلاّ أنهم لم يجسروا على خوض حرب فى جزيرة العرب للأسباب المتقدمة.

والذى سـرع فى اندلاع الصـراع المسلح بين قوات الدولة الإسلامية والروم قيام أحد ملوك الغساسنة بقتل مبعوث النبى صلى الله عليه وآله وسـلم فأرسل النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم قوة عسـكرية مؤلفـة من ثلاثة آلاف مقاتل تأديباً للملك الغسانى، فعلم الغساسـنة بالبعث فاسـتنجدوا بالروم الـذين أمـدوهم بمائـة ألف مقاتل وعبأ الغساسـنة قواتهم فكانوا بالإضافة إلى ما التحق بهم من الأعراب مائة ألف مقاتل أيضاً، وعلم المسلمون بالقوة العسكرية التى أعدها الروم والغساسنة فانحازوا إلى مؤتة وقرروا خوض القتال مهما كلف الأمر.

اندلع القتال بين المعسـكرين غير المتكافئين من حيث العدد والعدة، وأبلى المسـلمون فى المعركة بلاءً حسـناً، واستشـهد فى ساحة الوغى الأمراء الذين عينهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم جعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضوان الله عليهم.

وكان للبسالة التى أبداها المقاتلون مع قلة العدد أبلغ الأثر فى خوف الدول الكبرى من مهاجمة الدولة الإسلامية فى أراضيها.(1)

ومن الأدلة الأخرى على قوة شوكة المسلمين وتعاظم منزلتهم السياسية والعسكرية فى نظر الدول الكبرى آنذاک مجريات غزوة تبوک حيث بلغ النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الروم يحشدون القوات العسكرية لغزو بلاد المسلمين فقاد صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً مؤلفاً من خمس وعشرين ألف مقاتل لصد الروم، فى الوقت الذى كانت جموع هرقل تفوق عدد المسلمين بأضعاف مضاعفة إلاّ أنهم لم يجرؤا على خوض الحرب بسبب تجربتهم فى مؤتة التى كان نسبة المسلمين فيها بالنسبة إلى الروم دون السبع.

فكيف الحال فى غزوة تبوک التى بلغ عدد جيش المسلمين فيها خمس وعشرون ألفاً والنبى صلى الله عليه وآله وسلم حاضر بين المقاتلين.

تحديات المرحلة الجديدة

هذا ما يتعلق بالتهديدات الخارجية التى كانت تواجه الدولة الإسلامية، وأمّا على الصعيد الداخلى فإن عدد المنافقين والمتربصين الدوائر بالدولة النبوية كان آخذاً بالازدياد، فهناک منافقو المدينة، وانظمّ إليهم منافقو مكة، والأعراب الذين لم يدخل الإيمان فى قلوبهم فهؤلاء كانوا يشكلّون خطراً داخلياً جدّياً يهدد عاصمة الدولة الإسلامية الأمر الذى دعى النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى استخلاف أمير المؤمنين

1- انظر كتاب المحبر ص123، كتاب المنمق ص407، تاريخ اليعقوبى ج2ص65، تاريخ الطبرى ج2 ص318، المنتخب من ذيل المذيل ص2، التنبيه والإشراف ص230، البداية والنهاية ج4 ص275، تاريخ ابن خلدون ق1ج2ص224، مقاتل الطالبيين ص6، مناقب آل أبى طالب ج1 ص176، ذخائر العقبى ص218، بحار الأنوار ج21ص50، المعجم الكبير ص106، شرح نهج البلاغة ج15 ص61، كنز العمال ج1 ص554.

علیه السلام علی المدینة فی غزوة تبوک تحرزاً مِن الأخطار المحتملة.

کان نشاط المنافقین السیاسی ومؤامراتهم بلغت مستوی خطیراً إذ اتفق المنافقون علی اغتیال النبی صلی الله علیه وآله وسلم وأمیر المؤمنین علیه السلام وجری ذلک فی وقتین متقاربی_ن ولکن الله تعالی رد کید المنافقین إلی نحورهم، وتمثلت خطة اغتیال النبی صلی الله علیه وآله وسلم(1) بتنفیر ناقته فی طریقه إلی تبوک عند العبور فی بعض الممرات الجبلیة الوعرة حیث کانت المنطقة التی سیمر بها النبی صلی الله علیه وآله وسلم مشرفة علی وادی مهول فقرر المتآمرون وضع الأحجار فی الدباب وإرسالها علی سفح الجبل عند مرور النبی صلی الله علیه وآله وسلم فیکون تدحرجها مع ما فیها من أحجار مصحوباً بصوت عال یفزع الناقة فتقع فی الوادی ویقتل النبی صلی الله علیه وآله وسلم، وأما أمیر المؤمنین علیه السلام فإنهم حفروا فی طریق عودته حفرة عمیقة واختفوا فی مکان قریب منها منتظرین وقوعه فیها لیرموه بالصخور لیدفن_وه فی الح_فرة إلاّ أنّ الله تعالی رد کیدهم إلی نحورهم((2).

1- الکافی ج 8 ص 322 ح503، أمالی الطوسی ص 128ح 203 / 16، ص 187: 315/ 17، الاحتجاج ج 1ص 325، ذخائر العقبی ص 76، 232، 85، بحار الأنوار ج 10 ص 39، ج71 ص 286، ج 81 ص 5ح3، ج 81 ص 29ح15، علل الشرائع ص 412، ج96ص 235ح9.

2- - مسند أحمد ج 1ص 342، ج 3ص 329، ج 3ص 486، 328، سنن الدارمی ج 2ص 237، صحیح البخاری ج 3ص 167، ج 3ص 178، ج 4ص 70، ج 5ص 62، 67، ج 6ص 45، صحیح مسلم ج 5ص 173، 176، 189، سنن أبی داود ج 1ص 411 ح 1832، ص 611 ح2700، ص 628 ح 2765، ج 1ص 630 ح 2766، سنن الترمذی ج 5ص 297ح3799، المعجم الأوسط ج 4ص 158، المعجم الکبیر ج 20 ص 8، 14، 16، أدب الإملاء والاستملاء ص 18، شرح نهج البلاغة ج 2ص 232، 275، ج 10ص 258، ج 14ص 172، کنز العمال ج 10ص 478 ح30149، 480، کمال الدین وتمام النعمة ص 50، 209257، تاریخ الیعقوبی ج 2 ص 54، تاریخ الطبری ج 2 ص 270.

وبعد العودة إلى المدينة المنورة استمر التخطيط للقضاء على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومنع أمير المؤمنين عليه السلام من الوصول إلى كرسى الحكم إن لم يتمكنوا من القضاء عليه، ولأجل ذلک قاموا بعقد اجتماعات كثيرة قرروا فيها رسم خطوات التحرک بصورة أدق،فكانت الخطوط العامة تتمثل فى:

1_ الإبقاء على الإسلام بوصفه ديناً رسمياً للدولة لحفظ وحدة الدولة وضمان سيادة قريش على قبائل العرب وتوجيهها ضمن المخطط القرشى الرامى إلى الاستفادة من القوة البشرية الهائلة التى استطاع الإسلام ضمها إلى بعضها لتوسيع رقعة الدولة وبسط النفوذ على ممتلكات الدول الأُخَر وضمها إلى الدولة الجديدة بعد أنْ رأوا بام أعينهم قوة الدولة الأس_لامية فى مواجهة الروم وضعف الفرس والروم وعجزهم عن القضاء عليها.

2 _ قتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام.

3_ محاصرة بنى هاشم اجتماعياً و إعلامياً وسياسياً واقتصادياً.

4_ كسب زعماء الأنصار وإشراكهم فى المؤامرة، خصوصاً بعد وفاة زعيم المنافقين عبد الله بن أُبى.

فأما قتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام فقد حاولوه فى غزوة تبوک ولكن لم يفلح السعى، وكان بالإضافة إلى سعى المنافقين سعى اليهود للقضاء على النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما فى قصة الشاة المسمومة وأغلب الظن أنّ السم الذى دس فى الشاة كان بطئ المفعول يعمل أثره فى أربع سنين،فيكون النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد سقى السم سنة سبع للهجرة على يد اليهود، بينما وقع فتح مكة سنة ثمان للهجرة ولو كان مسلمة الفتح قد علموا بسقى النبى صلى الله عليه وآله وسلم السم بطئ المفعول _ وهو احتمال قوى جداً لطبيعة العلاقة الحميمة التى

ولدها العداء للنبى صـلى الله عليه وآله وسـلم بين اليهود والمشـركين ـ فحينئذ هم يعلمون إجمالاً السنة التى سيتوفى فيها النبى صلى الله عليه وآله وسـلم مما وفر لهم فرصة زمنية كافية للتخطيط للمسـتقبل، ولا يتنافى هذا مع محاولة اغتيال النبى صـلى الله عليه وآله وسلم فى موعد سابق على زمن تأثير السم ذلک لأن خيوط المؤامرة إذا كانت تامة فالتعجيل بها أفضل خشية أن تستجد أمور تفشل التدبير.

وكانت أهم المشكلات التى تواجه المتآمرون توزيع السلطات بعد السيطرة على الحكم وكان اهم العوائق هى تسمية شخصية تكون موضع رضا القوى المتنافسة على الحكم خاصة وان كل واحد من القبائل ترغب أنْ تكون السـلطة من نصـيبها والشـخص الذى يحتاجونه فى هذه المرحلة يجب أن تتوافر فيه العديد من الصفات:

1 ـ أن يكون من قبائل قريش الضعيفة كى لا يتمكن من التفرد بالسلطة والانقلاب على القبائل القرشية.

2 ـ أن يحظى بقبول الانصار إذ إنّ المخاوف سوف تتحرک فى نفوسهم فى حال إبعاد أمير المؤمنين عليه السلام عن السلطة من سعى قريش للأخذ بثاراتها فى بدر واحد.

3 ـ أن يحظى الشخص بصلة تربطه بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم كى يحضى بالاحترام الجماهيرى.

كان دور بعض القرشيات من نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم مهماً فى تحديد من يتولى الحكم بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وغير أبى بكر وعمر لم تكن فرصـهم كبيرة، ذلک لأن أم حبيبة مع إنها بنت أبى سـفيان ـ على ما يظهر من تاريخها ـ لم تكن إلى جنب بنى أمية فى مؤامراتهم فلم يجد الأمويون موطئ قدم مناسب لإيصال عثمان إلى سدة الحكم بعد النبى صـلى الله عليه وآله وسلم بالإضافة إلى أنّ موقف الأنصار قد يكون ش ـديداً فى مواجهتهم لأن

الأمويين كانوا دائمـاً قادة جيوش الشـرك ولو وصل بنو أمية للحكم لم يأمن الأنصار من سـعيهم للثأر لدمائهم، وأما بنو زهرة فلم تكن لهم إمرأة فى بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمّا المحاصرة الإجتماعية لبنى هاشم فقد قاموا بها بعد فتح مكة بصورة واضحة بحيث كان العباس بن عبد المطلب والسيدة صفية والسيدة سبيعـة تتكرر الشـكاوى منهم عنـد النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم ضـد قريش فكان العباس يشـكو ما يراه من جفاء قريش له وإظهارهم العبوس فى وجهه وشكت السيدتان صفية وسبيعة إيذاء أحد القرشيين لهما، ولم تسلم نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم من إيذاء قريش كما هو المتواتر عن إيذاء السـيدة سودة بنت زمعة رضوان الله عليه فى قصة الحجاب المعروفة، والسيدة مارية القبطية أم إبراهيم رضوان الله عليهما فى قصة الإفك التى اشترك فيها اثنان من نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأقاربهما.

واشتد حصار القوم السياسى والاجتماعى والاقتصادى والإعلامى ضد بنى هاشم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد أفلح القرشيون فى كسب معاذ بن جبل وأسيد بن حضير من زعماء الأوس وبشير بن سعد الخزرجى إلى صفوفهم.

المخاطر التى واجهت الدولة

فى أُخريات حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانت الأخطار الداخلية المحدقة بالدولة النبوية تتمثل فى اتجاهات ثلاثة:

1_ الاتجاه الرامى إلى عودة جزيرة العرب إلى حالها فى عصر ما قبل الإسلام، وهو أضعف الإتجاهات.

2 _ الاتجاه الرامى إلى بناء دويلات دينية كما فعل مسيلمة وسجاح وطليحة.

3 _ الاتجاه الرامى إلى حفظ كيان الدولـة النبويـة ومنع بنى هاشم من الوصول إلى سـدة الحكم وهو اتجاه مسـلمى مكـة وبعض زعامات المدينة ومن انظم إليهم من أعراب الحجاز وعلى رأسهم قبيلة أسلم الساكنة بالقرب من المدينة المنورة.

الأوضاع السياسية بعد حجة الوداع

فى السنة العاشرة للهجرة حج النبى صلى الله عليه وآله وسلم حجه الأخير الذى عرف بحجة الوداع، وب_عد فراغه من الحج ومغادرته مكة نزل عليه جبريل وأبلغه أمر الله تعالى بإبلاغ المسلمين ولاية أمير المؤمنين عليه الس_لام من بعده واخذ البيعة له منهم.

كان الزمان والمكان اللذين اختارهما الله تعالى لإبلاغ النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم الأمة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام من الظروف الزمانية والمكانية التى تحتفر فى ذاكرة الإنسان ولا يمكن أن تنسى وتزول.

فالمكان بعـد الخروج من مكة فى مفترق الطرق وبعض الناس قد تقدم وبعض لم يصل بعد، وصدر الأمر بالوقوف فى ذلك المكان وإعادة المتقدم وانتظار المتأخر، العدد كبير جداً بلغ على بعض الروايات مائة وعشـرين ألف من المسـلمين، الحادث الأهم إبلاغ النبى صلى الله عليه وآله وسـلم المسـلمين أنه سـيلبى دعوة ربّه وأنه ملتحق بالرفيق الأعلى، الغاية من الوقوف تنصيب أمير المؤمنين على_ه السلام حاكماً على المسلمين من بعده وأخذ البيعة له.

نصب النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم أمير المؤمنين عليه الس_لام أميراً على الناس من بعده فى الثامن عشر من ذى حجة س_نة عش_رة للهجرة، وبايعه جميع من حضر

وروى أنّ عمر قال له بخ بخ لک یا علی أصبحت مولای ومولی کل مؤمن ومؤمنة.

عاد الناس إلی أوطانهم وهم یتحدّثون بالبیعة وبقرب رحیل الرسول الأکرم صلی الله علیه وآله وسلم(1).

أحس القرشیون بضرورة التحرک والعمل السریع للانقضاض علی الخلافة ومنع أمیر المؤمنین علیه السلام من الوصول إلی الحک_م، وکان العم_ل داخل المدینة وحوالیها یحتاج إلی أمرین مهمین:

1 _ تعبئة الطاقات للسیطرة علی الأوضاع داخل المدینة.

2 _ التخطیط الدقیق لمن_ع حص_ول اصطدام سریع یفوّت الفرصة ویفشل التخطیط، وضرورة اتخاذ الموقف المناسب تجاه الأحداث فی أوانها.کان المتآمرون داخل المدینة یتحرکون بصورة سریعة وسریة وبدأت تلوح فی الأفق بوادر التحرک التآمری

1- بعض المصادر التی ورد فیها حدیث من کنت مولاه فعلی مولاه: المسترشد ص467، 454، شرح الأخبار ج1ص99وما بعدها ح21وما بعده، الإرشاد ج1ص8، 176، 351، 352، أمالی المفید قدس سره م7ح 2ص58، م26ح2، أمالی الطوسی قدس سره م1ح9، م ح 25ر433، م ح 47ر509، م ح 4ر664، م ح7ر667، م ح 12 ر 672، م ح44 ر754، م ح 3ر946، م ح 4ر1168، م ح 5ر1169، م ح17ر1243، م8ح 48ر398ص277، م ح48ر456ص254، م یوم الجمعة24/محرم/457 ح51ر 459 ص255، م ح8 ر1172 ص558، الاحتجاج ج1ص96، 75، 103، 155، 196، 214، 380، ج2 ص252 الأربعون حدیثاً ص82، مناقب آل أبی طالب ج1ص229 ج2ص34، 37، 113، 224، 229، 236، 238، 240، 251، 368، المزار الکبیر _ محمد بن المشهدی ص272، 287، 567،، المصنف _ عبد الرزاق الصنعانی _ ج11ص225، المعیار والموازنة ص72، 210، 211، 214، 218، 228، 322، 323، المصنف - ابن أبی شیبة - ج7ص495، 496، 499، 503، 506، جزء ابن عاصم ص126، تأویل مختلف الحدیث ص 14، 44،، السنن الکبری ج5ص45، 108، 130136ج1ص112، ج2ص24، 275، 324، 369، ج6ص218، ج7ص70، ج8ص213.

حيث بـدا الوجه الكالـح للنشـاط الإعلامى المضاد للدولـة العلويـة، وأصـبح الحـديث عن محاولة عزل أمير المؤمنين عليه السـلام عن الخلافة علناً فى مجالس القرشيين الخاصة.

(عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عليهما السـلام قال بلغ رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم عن قوم من قريش أنهم قالوا: أيرى محمد أنه قـد أحكم الأـمر فى أهـل بيته، ولئن مـات لنعزلنهـا عنهم، ولنجعلها فى سواهم. فخرج رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم حتى قام فى مجمعهم، ثم قـال: يا معشـر قرى_ش كيف بكم وقـد كفرتم بعـدى ثم رأيتمونى فى كتيبـة من أصـحاب_ى أضـرب وجوهكم ورقابكم بالسـيف ؟ فنزل جبرئيل عليه السـلام فى الحال فقال: يا محمـد إن ربک يقرئک السـلام ويقول لک: قل: إن شاء الله، أوعلى بن أبى طالب. فقال رس_ول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن ش_اء الله، أوعلى بن أبى طالب يتولى ذلک منكم)(1).

وعلى صـعيد آخر ازداد التحرک على الأنصار لكسب أكبر عدد ممكن إلاّ أنّ المتآمرين لم يوفقوا إلاّ لكسب المنافقين من أتباع عبد الله بن أبى، وعـدد قليل من زعماء القبائل، فرسـموا خطـة بديلة الغاية منها القضاء على وحدة الأنصار ومفاجأتهم بالدعوة إلى بيعة أحد القرشـيين لإرباک وضع الأنصار النفسـى ودفعهم لإتخاذ قرار غير مـدروس، وهـذه المهمـة المركزية ألقيت على عاتق زعماء الأنصار الذين كسـبهم القرشيون.

وكـانت الخطـة تتمثل فى إيصال أنباء سـعى قريش للسـيطرة على الحكم إلى الأنصار وكإجراء مقابل يعقـد الأنصار اجتماعاً يرسم خطوطه العامة الشخصيات التى تم اكتسابها من القرشيين، وهم سيقومون بدعوة الأنصار جميعاً وسيسعى الأنصار بطبيعة الحال إلى انتخاب خليفة لهم من بينهم، وعلى أنصار قريش أن يمنعوا الأنصار من عقـد البيعـة لزعيمهم المنتخب حتى وصول الزعامات القرشـية التى كانت تراهن على

1- أمالى المفيد رحمه الله م13.

مباغتة الأنصار والاستفادة من مشاعر التنافر بين الأوس والخزرج فى خطة محكمة كشفت عنها أحداث السقيفة.

وكذا سعى القرشيون لكسب الأعراب المحيطين بالمدينة فاستجابت لهم أسلم فتعبأ مقاتلتها وتهيّؤا لإحتلال المدينة عسكرياً بمجرد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

كان أهم ما يواجه الحركـة القرشية من أخطار التدابير الوقائية التى قد يتخذها النبى صلى الله عليه وآله لإفشـال المخطط الرامى لسلب الخلافة، وكان هذا الهاجس يدعو زعماء المؤامرة إلى التأمل كثيراً فى كيفية التصدى لقرارات النبى صلى الله عليه واله فكثفوا متابعة تحركات النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتصريحاته واتخاذ المواقف الكفيلة بالحد من تأثير الاجراءات الوقائية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما خارج المدينة فكانت التحديات من نوع آخر حيث بدأ مسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة نشاطهم الداعى إلى قيام دويلات تحت قياداتهم عن طريق ادعائهم النبوة، وتوصل مسـيلمة وسجاح إلى عقد اتفاق بينهما كـان للأشعث بن قيس فيه دور كبير لكونه من مستشارى سجاح ومنظرى تحركها.

وفى هذه الظروف العصيبة مرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم مرضه الذى توفى فيه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر لحظات حياته الشريفة متصدياً لإفشـال المخططات التآمرية على جميع الأصعدة.

كان أهم ما يواجهه من التحديات التآمر داخل المدينة الذى سيؤدى إلى انحراف كبير فى المسيرة الإسلامية، أمّا ما يقع خارج المدينة فإن السيطرة عليه ليس بالأمر العسير لو استقام أمر العاصمة، لذا قام النبى صلى الله عليه وآله وسلم بإجرائين مهمين حاول فيهما إفشال الحركة التآمرية.

محاولات النبى صلى الله عليه وآله وسلم افشال مخطط القرشيين

كان القرشـيون يوماً فيوماً يزدادون عزيمة فى محاولة كسب الجولة بعد وفاة النبى صـلى الله عليه وآله وسلم. قرر صلى الله عليه وآله وسلم إبعاد المتآمرين لمدة طويلة يتم لأمير المؤمنين عليه السـلام فيها السيطرة على المدينة وباقى جزيرة العرب بحيث يعجز المتآمرون لو عادوا أن يغيروا شيئاً وكان من الضرورى أن يتم هذا الإجراء بصورة لا تحدث خدشة فى صفوف المسلمين، فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بإعداد جيش ينطلق لغزو مؤتـة حيث وقع الصـدام العسـكرى الأول مع القوات الرومية،وبعدها يتوجّه إلى فلسـطين ووعد الجيش بالظفر والنصـر وأرسل فى هذا الجيش كل الطامعين والمتآمرين ومن يدور فى فلكهم وبلغ عددهم زهاء ثلاثة الآف مقاتل(1).

تنبه القرشيون ومن فى فلكهم إلى ما يهدف إليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم فعسكروا فى الجرف خارج المدينة، وكان قائد الحملة أسامة بن زيد متثاقلاً، والدلائل العامة تشـير إلى أنّ القرشـيين تمكنوا من كسـبه إلى جانبهم فكان ضـمن المخطط الذى أعده القوم للسيطرة على الخلافة.

علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّ القوم لن يتركوا المدينة، بل سيكونوا بالقرب منها انتظاراً لموته.

1- الملاحـظ من الأدلـة الروائيـة أنّ النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم لـم يسـتغفر لمن فى البعث ولـم يثنِ عليهم بل لعن المتخلفين منهم فيكون صـلى الله عليه وآله وسـلم بـذلك أراد تحقيق أمرين الأول ابعاد خطر المتآمرين عن الخلافـة فان لـم يتم ذلك فبيان عـدم صـلاحية المبعوثين لتولى الخلافة لأن النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم قد لعنهم. وحول بعث أسامة انظر السقيفة وفدك ص 76، نهج السعادة ج 5 ص 259، معالم المدرستين ج 1 ص 111، 345، ج 2ص 76، المسترشد ص 113، حلية الأبرار ج 2ص 367، السقيفة- الشيخ محمد رضا المظفر ص 84، فتح البارى ج 7ص 69، عيون الأثر ج 2ص 352.

أما الشخصيات المهمة من القرشيين فتركوا الجيش وعادوا إلى بيوتهم لاقتناص الأخبار وليكونوا على مقربة من ساحة الأحداث لاتخاذ الموقف المناسب عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

قرر صلى الله عليه وآله وسلم اتخاذ موقف آخر لتفويت الفرصة على المتآمرين، وكانت الخطوة الأخرى يوم الخميس حيث اجتمع جملة من المهاجرين والأنصار فى بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان بينهم عدد كبير ممن أمرهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالمسير إلى مؤتة فى جيش أسامة، فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتوه بدواة وكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً.

أدرك المخططون للانقلاب على الخلافة العلوية ما يرمى إليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة الكتاب، وإنّ الذى لا تضل الأمة من بعده أبداً ليس سوى التأكيد على خلافة أمير المؤمنين علىه السلام فقرر أحد أبرز زعامات الانقلاب الوقوف فى وجه هذه المحاولة، وإفهام النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه إن فعل ذلک فإنهم سيدعون على النبى صلى الله عليه وآله وسلم عدم السلامة النفسية والعقلية فقال قولته المشهورة:

(حسبنا كتاب الله إنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم يهجر)(1).

1- حول هذا الموضوع راجع: شرح أصول الكافى ج 12ص 412، الأمالى ص 36، مناقب آل أبى طالب ج 1ص 202، بحار الأنوار ج 22ص 473، ج 25 ص 88، ج 30 ص 284، ص 466، ص 532، ص 541، ص 549، مسند أحمد ج 1ص 324، 336، صحيح البخارى ج 5 ص137، ج 7 ص 9، صحيح مسلم ج 5ص 75، شرح مسلم ج 11 ص 89، فتح البارى ج 1 ص 186، ج 8 ص 102، المصنف ج 5ص 438، شرح نهج البلاغة - ج 2 ص 54، ج 6 ص51، ج 11ص 49، ج 12ص 87، الطبقات الكبرى ج 2ص 243، البداية والنهاية ج 5 ص247، السيرة النبوية - ابن كثير ج 4ص 451.

وبهذا التصريح علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم عظم الخطر الذى يواجه الدين الحنيف لو كتب الكتاب فطردهم من البيت بعد إن كان الحظور قد انقسموا إلى قسمين الأغلب ـ وهم المتآمرون ـ يرفضون كتاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ويتهددون ويتوعدون ويتهمون النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالهذيان والهجران، والأقل وهم الذين حاولوا لإحضار الدواة والكتف ليكتب لهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما لن يضلوا بعده أبداً.

وعلى الرغم من التعبئة العامة التى عبأها التحرك المضاد للخلافة العلوية إلاّ أنهم كانوا يحسون بالحاجة إلى وجود غطاء شرعى لتحركهم السياسى للسيطرة على الأوضاع، ذلک لأن الناس على قسمين شريک لهم فى المؤامرة وغير شريک، وغير الشريک أمّا عالم بمخططاتهم فلابد من قمعه أو جاهل بها فلابد من تضليله عن طريق يوفر الشرعية لحكومة المتآمرين وهذه الشرعية إنما يوفرها صدور تصريح من بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمنح أحد المرشحين خصوصية تجعله فى أذهان العامة البعيدين عن واقع الأحداث مؤهلاً لقيادة الدولة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

والقوم بعد أن لعنهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وطردهم من بيته فى حادثة يوم الخميس والتخلف عن بعث أُسامة لا يتوقعون أنْ يصدر منه أمرُ من شأنه أن يرجح كفة المرشح من قبل قيادات التآمر قبال أمير المؤمنين عليه السلام فأراد القرشيون الاستفادة من بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الدور هذه المرة لعائشة بنت أبى بكر.

كانت عائشة تعلم أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبسبب شدة مرضه لن يخرج ليؤمّ الناس فى صلاة الصبح فى المسجد، فأرسلت إلى أبيها ليصلى بالناس وادعت أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى أمر بذلک لتوهم الناس أنّ النبى صلى الله

عليه وآله وسلم يرى أبا بكر أهلاً لإمامة الناس فى الصلاة فيكون ذلک دالاً على رضا النبى صلى الله عليه وآله وسلم بأبى بكر خليفة للمسلمين.

كان الحاضرون فى المسجد ما بين شريک فى المخطط القرشى وجاهل، والأولون فرحوا بتقدم أبى بكر لإمامة الناس فى الصلاة والآخرون لجهلهم بمجريات الأحداث لم يعترضوا على تقدمه ظناً منهم أنّ ذلک بأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما أوحت بذلک عائشة.

وتقدم أبو بكر لإمامة الناس ورفع صوته مكبراً فسمعه النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وعلم النبى صلى الله عليه وآله وسلم الهدف الذى يرمى إليه القرشيون فاستشاط غضباً وخرج إلى المسجد متكأً على يد العباس بن عبد المطلب وأمير المؤمنين عليه السلام وكانت رجلاه الشريفتان تخطان الأرض لشدة المرض، فلما وصل إلى محل الإمام أمر أبا بكر بالتنحى وصلى بالناس ثم خطبهم وحذرهم.

لم يثنِ الزعامات القرشية الفشل الذريع الذى جُوبهوا به فى محاولة كسب المشروعية وعمدوا إلى انتظار فرصة أخرى يمكنهم أن يستغلوها لكسب الغطاء الشرعى، وكان ذلک فى أخريات ساعات النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يدعى إليه أخاه فحاولت إحدى القرشيات من نسائه أن تستغل الموقف لصالح أبيها فأرسلت إليه، وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد غطى وجهه بكساء، وكان عنده عدد كبير من المسلمين فلما جاء عمر رفع النبى صلى الله عليه وآله وسلم الكساء فلما رآه أشاح بوجهه عنه فترک بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فأرادت قرشية أخرى من نسائه كسب الموقف لصالح أبيها فأرسلت إليه فلما رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم أشاح بوجهه عنه فغادر منزل النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزله فى السنح، ثم أمرت السيدة أم سلمة أنْ يدعى أمير المؤمنين

عليه السلام فلما رآه النبى صلى الله عليه وآله وسلم هش إليه وبش فى وجهه وضمّه إليه وأدخله تحت الكساء معه ووضع صدره على صدره حتى فاضت روحه الطاهرة والتحقت ببارئها.

المدينة عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم

أعلن نبأ وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان الناس على صنفين:

الأول عامة المسلمين الذين جل_سوا يبكون فقد النبى صلى الله عليه وآله وسلم منتظرين مواراة الجسد الطاهر.

وأمّا القرشيون ومن فى فلكهم فكانت هذه الساعات تمثل الساعات المصيرية التى من شأنها أنْ تحدد طبيعة الحكم الذى يخلف حكم النبى صلى الله عليه وآله وسلم فعمل المتآمرون بأس_رع ما يمكنهم للس_يطرة على الأوضاع داخل المدينة، فأرسلت إحدى نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى أسامة تخبره بوفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وضرورة الإسراع بالعودة بالقوات الموالية للتحرك القرشيٍ إلى المدينة لأنها تمثل رقماً مهماً فى معادلة الصراعٍ، فعاد أسامة والجنود الذين يقدر عددهم بثلاثة الآف مقاتل وركز الراية فى باب بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم بينما توجه زعامات الأنصار الذين كانوا فى فلك قريش وطلبوا عقد اجتماع للأوس والخزرج فى سقيفة بنى ساعدة لبحث تطورات الأوضاع السياسية وأعلنوا للملأ نية قريش التصدى للحكم وإبعاد أمير المؤمنين عليه السلام وبينوا للأنصار أنّ قريشاً إنْ تصدت للحكم فليس من البعيد مطالبتهم بالدماء التى س_فكت على يد الأنصار فى حروبهم مع المشركين فى بدر واحد، وإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لن يستطيع الوقوف فى وجه قريش بسبب اتفاق آراء القرشيين على منعه وكل الهاشميين من الوصول إلى الحكم، فإن أمير المؤمنين عليه السلام أو بنى هاشم إذا وصلو إلى الحكم لن تستطيع قريش المطالبة بدماء قتلاها من

المشركين ولكـن لو لم يصل الهاشميون فالأمر على خلاف ذلك.

ألقت هذه التصريحات الرعب فى نفوس الأنصار فقرروا انتخـاب رجل من الأنصار يقوم بأعباء الخلافة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاتفقت اراءهم على أنْ يكون سعد بن عبادة الخزرجى قائداً للدولة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

بلغت حركـة الأنصار مرحلـة خطرة إذ لم يبق إلاّ أنْ يبايع الأنصار سـعداً فأسـرع من فى فلك التحرك القرشـى إلى إلقاء البلبلة فى صـفوف الأنصار قبل عقد البيعة لسـعد لتأخير البيعة لحين وصول مرشـحى قريش للحكم بعد النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فطُرح على الأنصار سؤال فت فى عضد الأنصار وأوقع الأخذ والرد بينهم وهو ما هو جوابكم إنْ طالبكم القرشـيون بالبيعة لهم بوصـفهم عشـيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم والأولى بميراثه.

وفى هذه اللحظات أرسل المخططون لاجتماع السقيفة رجلين إلى أحد شخصيات قريش ليخبراه بمجريات الأحداث.

وأمّا فى المسـجد النبوى فاجتمعت بطون قريش تحسـباً لأى طارئ فبنو زهرة يترأسـهم عبـد الرحمن بن عوف وبنو أميـة يتزعمهم عثمان بن عفان وبنو مخزوم يتزعمهم خالـد بن الوليـد وبنو تيم يتزعمهم طلحـة بن عبيـد الله وبنو عدى يتزعمهم قنفذ وبنو سـهم يتزعمهم عمرو بن العاص ـ وهكذا بقية البطون ـ للوقوف بوجه أى نشاط يقوم به بنو هاشم للتصدى لقيادة الدولة.

وفى اللحظات الأولى لوفاة النبى صـلى الله عليه وآله وسلم أرسل عمر رسولاً إلى أسلم طالباً منهم الإسراع فى دخول المدينة للسيطرة على الأوضاع العسكرية والأمنية فيها.

ووقع إلى إذن عمر البحث عن مسألة الخلافة والدعوة إلى أمير المؤمنين عليه

السلام فخشی عمر أن یفاجئ بقرار یتخذ فی المسجد بشأن الخلافة قبل وصول أبی بکر فأظهر عمر الحزن والجزع وادعی أنّ النبی صلی الله علیه واله ما مات ولن یموت وإنما ذهب إلی مناجاة ربه وإنّه سیعود ویقطع أیدی وأرجل من ادعی موته، کان حدیث عمر المفاجئ باعثاً علی تشویش اذهان حاضری المسجد، وعرف الموالون لأمیر المؤمنین علیه السلام ممن حضر المسجد ما یهدف إلیه عمر من هذه الدعاوی الرامیة إلی الاسـتفادة من البلبلة لمنع اتخاذ قراراً بشأن الخلافة قبل استحکام الأمر لقریش فاصروا علی وفاة النبی صلی الله علیه وآله وسلم وضرورة الرجوع إلی أمیر المؤمنین علیه السلام من بعده، ولما رأی عمر أنّ حیلته ما نفعت مع الشیعة وإنّه من المحتمل أنهم سیدعون الناس ویحثونهم علی الوفاء ببیعة الغدیر، جرد سیفه وهدد من یصر علی وفاة النبی صلی الله علیه وآله وسلم بالقتل، وفهم من فی فلک قریش مارمی إلیه عمر من إنکار الوفاة والتهدید فأثاروا بلبلة شدیدة فی المسجد وحاصروا الشیعة ومنعوهم من السیر فی المواجهة.

ولم تمض لحظات حتی وصل أبو بکر من منزله فی السنح إذ أرسل إلیه القرشیون یخبرونه بوفاة النبی صلی الله علیه وآله وسلم فوقف فی المسجد ومنع عمر من الاستمرار فی ادعائه أنّ النبی صلی الله علیه وآله وسلم لم یمت، وأبلغ الناس اعتقاده بموت النبی صلی الله علیه وآله وسلم فسکت عمر إذ بحضور مرشح قریش أصبحت الأمور تسیر کما هو مخطط لها وإن تحقیق المراد یتوقف علی الإذعان بوفاة النبی صلی الله علیه وآله وسلم.

وفی هذه اللحظات کان وصول عویم بن ساعدة وعمرو بن عدی موفدا شرکاء قریش من الأنصار إلی المسجد وأخبرا عمر عن أحداث السقیفة وأنّ الأنصار علی وشک أن یبایعوا سعد بن عبادة، فأخبر عمر أبا بکر وأبا عبیدة سراً خشیة أن یعلم

شيعة أمير المؤمنين عليه السلام باجتماع الأنصار فيسرعون إليهم ويكسبونهم إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام.

توجه الثلاثة إلى السقيفة فى الوقت الذى كان الأنصار يتناقشون فيما بينهم فيما يجيبوا به قريشاً لو ادعت الأولوية فى الخلافة.

وكان الأنصار قد اختلفوا إلى فئات ثلاث فمنهم من أصرّ على استقلال الأنصار بالحكم، ومنهم من قال نقول منا أمير ومنكم أمير، ومنهم من أصرّ على اتباع أمير المؤمنين عليه السلام.

كانت هذه البلبلة سبباً فى ضعف موقف الأنصار وتأخير بيعتهم لسعد لحين وصول أبى بكر وصاحبيه، وهكذا نجح مخطط القرشيين.

وصل الثلاثة إلى السقيفة وانحاز إليهم من فى فلكهم من الأنصار فألقى أبو بكر خطابه الذى دعا فيه الأنصار إلى اتباع قريش وضمن لهم ان احداً من القرشيين لن يتعرض لهم بسوء وعَرَضَ عليهم أنْ يبايعوا عمر أو أبا عبيدة فرفض الآخران التقدم على أبى بكر فأسرع بشير بن سعد الخزرجى إلى ضرب يده على يد أبى بكر مبايعاً واذهلت المفاجأة الأنصار وسارع أسيد بن حضير إلى بيعة أبى بكر وأثار فى نفوس الأوس هاجس حصول الخزرج على مناصب فى الدولة الجديدة دونهم فتبعته الأوس فى البيعة بعد أن اسقط فى أيديهم، ولما رأت الخزرج ذلك جال فى أنفسهم ما جال فى أنفس الأوس فبايعوا أبا بكر وبقى سعد بن عبادة وحيداً بعد إن كاد أن يكون ملكاً.

كان أهم أسباب نجاح المخطط القرشى فى السقيفة الحرب النفسية التى سخروها فى سبيل الوصول إلى غاياتهم، وإلى جنب الحرب النفسية كانت المفاجأة موثرة جداً فى سير الأحداث مضافاً إلى الاستناد على العامل العشائرى.

وانتهت السقيفة بانقسام الأنصار إلى ثلاثة أقسام:

1_ المرتبطون بقريش وأتباعهم الفرحون ببيعة أبى بكر، والذين كان لهم فيما بعد دور كبير فى إحداث الهجوم على دار فاطمة عليها السلام وإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من داره عنوة ليبايع أبا بكر.

2 _ سعد بن عبادة وأهل بيته الذين رفضوا بيعة أبى بكر، وانتهت حياة سعد بمؤامرة دبرت له أوائل حكم عمر أما أهل بيته فكانوا من أوائل من ثاب إلى الرشد وكان لهم بلاء حسن إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام أيام حكمه.

3 _ الذين اصرّوا على الوفاء ببيعة أمير المؤمنين عليه السلام.

أمّا القرشيون فكانوا يسعون لأخذ البيعة من الجميع دون استثناء لذلک أغرى عمر الحاضرين بقتل سعد بن عبادة إنْ لم يبايع أبا بكر إلاّ أن بشير بن سعد لم يرجح ذلک ونهاهم عنه، لأن سعداً لن يبايع وإن اكرهوه قاتل ولن يتخلى عنه أهل بيته ولن تتركهم الخزرج فإنهم وإن بايعوا أبا بكر إلاّ أنهم لن يقفوا مكتوفى الأيدى إن قوتل سعد فترک القرشيون سعداً وشأنه.

وخرج أبو بكر من السقيفة يحفه أصحابه وعمر يهرول أمامه وكلما رأى شخصاً أخذ يده ومسحها على يد أبى بكر شاء أم أبى.

وفى هذه اللحظات دخلت جموع أسلم المدينة وتم احتلالها عسكرياً وتوزع أعراب أسلم فـى سكک المدينة حتى ضاقت بهم الطرقات وبايعوا أبا بكر وأعلنوا أنهم حرب على من يرفض حكمه.

ووصل القرشيون ومن على هواهم المسجد، ودعا عمر من فى المسجد لبيعة أبى بكر وأعلن أنّ الأنصار بايعوا أبا بكر فى السقيفة فنهض القوم وبايعوا.

ولم يبق متخلفاً عن بيعة أبى بكر إلاّ أمير المؤمنين عليه السـلام وشيعته وبنو هاشم وبعض الأنصار.

وصادف أيام بيعة أبى بكر وصول مالک بن نويرة رضوان الله عليه المدينة فعلم بوفاة النبى صلى اله عليه واله وفوجئ بأبى بكر على المنبر لأنه حضـر بيعـة الغدير وكان يعتقد أنّ الامة لن تغدر بأمير المؤمنين عليه السـلام فلم يصبر مالک على ما يراه فوقف فى وجه أبى بكر وأعلن عن عقيدت_ه فى ضـرورة تولى أمير المؤمنين عليه السلام الحكم فما كان من رجال السلطة إلاّ أن ارغموه على الخروج من المدينة وكان مالک عـاجزاً عن الوصـول إلى أمير المؤمنين عليه السـلام بسـبب الطوق المفروض على بيت أمير المؤمنين عليه السـلام من القرشـين ومَنْ على خطاهم.

الفصل الثانی: أبو بکر فی مواجهة التحدیات

اشارة

بعد ان تولى أبو بكر السلطة كانت التحديات التى تواجه حكمه تتمحور فى:

أ _ داخل المدينة.

1 _ الأنصار الذين لم يبايعوا بعد.

2 _ أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته وبنو هاشم.

ب _ خارج المدينة.

1 _ القبائل المرتدة عن الإسلام.

2 _ بنو يربوع الذين بقى زعيمهم مالک بن نويرة رضوان الله عليه على ولائه لأمير المؤمنين عليه السلام.

أ _ التحديات داخل المدينة

اشارة

فأمّا علاج التحديات داخل المدينة فتمثل فى:

1 _ أسرع أبو بكر إلى طمأنة الأنصار وقريش على مصالحهم عن طريق إشراكهم فى إدارة الدولة فنصب معاذ بن جبل مفتياً للبلاد وأميراً للجـند وزيد بن ثابت للفصل فى نزاع المواريث.

وأما القرشيون فنصب عمر مسؤولاً للقضاء وأبا عبيدة مسؤولاً للمالية وخالد بن الوليد قائداً للعمليات العسكرية فى شبه جزيرة العرب وعثمان بن عفان مسؤولاً للديوان ويزيد بن أبى سفيان قائداً لجيش الشام وأميراً عليها بعد ذلک، وترک أموال

الصدقة التى جاء بها أبو سفيان فى يده وهكذا تم له ما أراد لإطمئنانهم على مصالحهم فى الدولة القائمة، مع ملاحظة أنّ مناصب الدولة المهمة كانت قد قسمت بين أبى بكر وعمر وأبى عبيدة حيث كان أبو بكر المسؤول التنفيذى وعمر المسؤول القضائى وأبو عبيدة مسؤول المالية وهذه المناصب هى أهم المناصب فى أى دولة من الدول.

2 _ أمّا الأنصار الذين لم يبايعوا بعد فكان عمر يقود المفارز المسلحة ويداهم بيوتهم ويخرجهم عنوة لمبايعة أبى بكر.

3 _ وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته وبنو هاشم، فالسلطة الحاكمة تعلم أنّه ليس من السهل اخضاع أمير المؤمنين عليه السلام لسلطانها كما أنهم يعلمون أنّ عدم دخول أمير المؤمنين عليه السلام فى بيعتهم يمثّل تهديداً دائمياً لهم؛ اذ من المحتمل فى أىّ لحظة تكون الظروف فيها مؤاتية، يقود أمير المؤمنين عليه السلام ثورة ضدهم تؤدى إلى فقدانهم السلطة التى بذلوا كل ما فى وسعهم للوصول إليها.

المواجهة بين أمير المؤمنين عليه السلام والسلطة الحاكمة

بعد إن انتزع القرشيون البيعة من الناس طوعاً وكرهاً، لم يمتنع عليهم داخل المدينة من الأنصار سوى سعد بن عبادة الذى أضحى وحيداً لأنه يمثل زعامة قبلية وقد بايعت قبيلته أبا بكر فلم يبقَ إلى جنبه من يعتد به ولم يعد له تأثير يذكر.

وما عدا سعد بن عبادة فكان هناك أمير المؤمنين عليه السلام الذى لم يكن يمثل تياراً قبلياً ليتس_نى للسلطة الحاكمة عزله سياسياً واجتماعياً عن طريق كسب قبيلته، بل كان يمثل تياراً دينياً حيث أنّه كان يستند فى مخالفته لهم على أسس دينية نزل بها الكتاب العزيز وأثبتها النبى صلى الله عليه وآله وسلم والأهم من ذلك أنّ له عليه السلام فى أعناق الناس بيعة كان المفروض أنْ يلتزموا بها لكنهم خفروا الذمة وخانوا العهد.

وانضم إلى أمير المؤمنين عليه السلام عدد من الشخصيات ذات التاثير الكبير فى المجتمع مثل أبى ذر الغفارى وعمار بن ياسر وسلمان الفارسى والمقداد بن عمرو الكندى، بالأضافة إلى بنى هاشم وابن أُختهم الزبير بن العوام.

كان أمير المؤمنين عليه السلام معتزلاً فى داره لم يبدأ القوم بشىء إلاّ أنّ السلطة الحاكمة كانت تخشى ثورته، ورأوا أنْ ليس من الحكمة الابتداء به عليه السلام مادامت المدينة لم تستسلم بعد لذا قام عمر بحملات المداهمة للبيوت والجأ الناس للبيعة.

وبعد أنْ أصبحت المدينة خاضعة لسلطة أبى بكر بدأت المرحلة الثانية من مراحل بسط النفوذ التام على العاصمة المتمثلة بالسعى لإجبار أمير المؤمنين عليه السلام ومن كان معه على الخضوع لخلافة أبى بكر.

إلى هذه المدّة كانت المدينة ما تزال تعيش الأحكام العرفية، فلم تحتل المدينة احتلالاً كاملاً وبَعْثُ أسامة فى المدينة أيضاً، والمسجد النبوى تحتله القوات القرشية ودار أمير المؤمنين عليه السلام ضرب القرشيون عليها طوقاً من الحصار.

قرر القوم التحرش بأمير المؤمنين عليه السلام فأصدر أبو بكر أمره بمصادرة أموال الزهراء عليها السلام فى فدك وغيرها من ممتلكاتها التى نحلها إياها النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو كانت ميراثها منه.

وكان الهدف من هذه الخطوة عدة أمور:

1_ محاصرة أمير المؤمنين عليه السلام اقتصادياً إذ أنّ أى تحرك سياسياً كان أو اجتماعياً أو إعلامياً لابد لنجاحه من بذل أموال تتناسب وحجمه. وأضخم المشاريع مشروع السيطرة على الحكم وهو بحاجة إلى بذل أموال طائلة تُؤمن بها نفقات المشتركين فى الصراع السياسى الذى ينتهى فى أغلب الأحيان إلى صراع عسكرى دامٍ.

فمصادرة تلك الأموال تعنى تحجيم تحرك أمير المؤمنين عليه السلام العسكرى

والسياسى والإعلامى ضد السلطة القائمة.

2 ـ جر أمير المؤمنين عليه السلام إلى حلبة الصراع مع كون الظرف ليس فى صالحه.

علم أمير المؤمنين عليه السلام بمصادرة السلطة لأموال الزهراء عليها السلام وبَلَغها ذلک ولم يخف عليها ما تهدف إليه السلطة الظالمة من هذه الخطوة. فلتفويت الفرصة على السلطة الحاكمة ولكون الزهراء عليها السلام صاحبة الأموال المصادرة قررت عليها السلام خوض حلبة الصراع السياسى وكانت الشيعى الأول الذى تصدى للدفاع عن حق أمير المؤمنين عليه السلام فى الحكم وأوّل من وقف بقوة فى وجه السلطة القرشية(1).

الزهراء عليها السلام تتحدى

خرجت الزهراء عليها السلام من دارها تحوطها نساؤها ودخلت المسجد النبوى وأُنيطت دونها ملاءة وجرى السجال على أشده بين السيدة الزهراءعليها السلام وأبى بكر ولم تجعل الزهراء عليها السلام محور الصراع الدائر قضائياً، لأن أبا بكر خصم الزهراء عليها السلام والخصم لا يصلح أنْ يكون قاضياً، ولأن أساس القضية الصراع السياسى لا الحق

1- شرح أصول الكافى ج 7ص 217، 405، - المسترشد ص 507، - السقيفة وفدک ص 107، 110، - حديث نحن معاشر الأنبياء- الشيخ المفيد، التعجب ص 56، - الطرائف- السيد ابن طاووس الحسنى ص 258 ح357، فدک فى التاريخ ص 152، السنن الكبرى ج 6 ص298، 300، ج 7ص 64، - تحفة الأحوذى ج 5ص 192، عون المعبود ج 8ص 232، مسند ابن راهويه ج 2ص 341 صحيح ابن حبان ج 11ص 152، شرح نهج البلاغة ج 6 ص46، شرح نهج البلاغة ج 16ص 217، نصب الراية ج 2ص 360، كنز العمال ج 5 ص622ح 14097، كنز العمال ج 5ص 636 ح14120، كنز العمال ج 5ص 637ح 14121، تفسير القمى ج 2ص 155، التبيان ج 6 ص 468، فقه القرآن ج 1ص 247.

المالی و إن کان ثابتاً لها علیها الس_لام ولکن کان مفتاح الصراع المطالبة بحقوقها المالیة.

ضّ منت الزهراء علیها السلام حدیثها الإشادة بأمیر المؤمنین علیه السلام وخصائصه السامیة وسلبیات العرب قبل الإسلام وعرضت بخصومها الذین غصبوا الحق من أهله، وأشارت إلی مؤامراتهم التی حاولوا فیها القضاء علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم وأمیر المؤمنین علیه السلام.

حاول أبو بکر السیطرة علی مسار الأحداث لئلا تستطیع الزهراء علیها السلام کسب الأنصار إلی جنب أمیر المؤمنین علیه السلام فأدار دفة الصراع إلی فدک وادعی علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنّه قال إنّ الأنبیاء لا یورثون، فکذبته الزهراء علیها السلام وحاولت العودة إلی الصراع السیاسی بینما کان أبو بکر یبذل قصاری جهده لمنع الزهراء علیها الس_لام من السیر قدماً فی تأکیدها انحصار حق تولی الحکم بأمیر المؤمنین علیه السلام واستمر السجال طویلاً ولم تلحظ الزهراء علیها السلام استجابة من الحاضرین تؤید مطالیبها، بل وصل التهدید إلی مسامعها الشریفة، حیث صرح أبو بکر بعد أن رأی أنّه لم یبق فی کنانته سهم أنّه لم یقم بمصادرة الأموال والتصدی للحکم برأیه فقط بل کان ذلک ما أجمع علیه الحاضرون فی المسجد، ولم تسمع الزهراء علیهاالسلام منهم إنکاراً لدعواه، وحاولت بعض نساء النبی صلی الله علیه وآله وسلم الوقوف إلی جنب الزهراء علیها الس_لام فتصدت لهن عائشة بقوة مؤیدة مدعیات أبیها(1).

1- معانی الأخبار ص 354 باب معانی قول فاطمة علیها السلام لنساء المهاجرین والانصار فی علتها ح 1، السقیفة وفدک ص 120، الاحتجاج -ج 1 ص 131، 147، الصراط المستقیم ج1 ص 171، بحار الأنوار ج 43 ص 158، فدک فی التاریخ ص 65، مواقف الشیعة ج 1 ص 488، المناظرات فی الإمامة ص 51، شرح نهج البلاغة - ابن أبی الحدید ج 61 ص233، کشف الغمة ج 2 ص 114.

عادت الزهراء عليها الس_لام بعـد الجولـة الأولى من الصـراع، واسـتعدت للجولة التالية، إلاّ أنّ القوم بدأوا المرحلة الثانية من مراحل خطة إلجاء أمير المؤمنين عليه السلام لمبايعة أبى بكر، حيث قاد عمر فصيلاً من القرشيين ومن فى فلكهم وهدد باقتحام الدار وم_اجمة من فيها إنْ لم يغادرها المعتصمون من بنى هاشم ومن لاذ بهم.

وخشـى المعتصمون أنْ تنتهک بسببهم حرمة دار الزهراء عليها السلام فاضطروا للخروج، وكان من بين المعتصمين الزبير الذى جرّد سيفه للهجوم على القرشـيين إلاّ أنهم ضـربوه بحجر على ظهره فوقع بس_بب الضـربة على وجهه وندر السـيف من يده فأخذه القوم وأجبروه على مبايعة أبى بكر.

أمير المؤمنين عليه السلام فى المواجهة

أصـبح مسـير الأحداث بعد الهجوم على دار الزهراء عليها السـلام يزداد خطورة لذا قرر أمير المؤمنين عليه السلام القيام بالتحرک المضاد، وكانت الخطوة الأولى تقتضـى تعبئة المؤيدين للقيام بعد ذلک بالعمل العسـكرى، فكان عليه السـلام فى سبيل تحقيق هذه الخطوة يحمل الزهراء والحسـنين عليهم السـلام ليلاً إلى مجالس المهاجرين والأنصار يدعوهم إلى نصـرته، إلا أنه لم يستجب لندائهم إلاّ عدد قليل جداً وهؤلاء إنْ وفوا بوعدهم فعددهم كافٍ لإعلان الثورة المسلحة.

وللاطمئنـان من صـدقهم طلب منهم أمير المؤمنين عليه السـلام أنْ يغـدو إليه محلقى الرؤوس عنـد أحجـار الزيت لإعلان الثورة فلم يأته سوى الأركان الأربعـة أبو ذر والمقـداد وعمار وسـلمان رضوان الله عليهم ورأى عليه السـلام أنّ هذا العدد غير كاف للقيام بالثورة فعاد إلى داره.

على الرغم من عدم استجابة الأمة لأمير المؤمنين والزهراء والحسنين صلوات الله

عليهم إلاّ أنّ حركتهم تلك أسـهمت إسـهاماً كبيراً فى بث الروح من جديـد فى وجدان الأمة الذى كادت أنْ تميته بيعة السـقيفة وكان ذلک الأثر واضحاً بين الأنصار.

وتتميماً لدور الزهراء عليها السـلام فى خوض غمار الصـراع السياسـى حضـرت إلى المسـجد النبوى مرة أخرى وألقت على مسامع الناس خطابـاً دعتهم فيه إلى العودة إلى جـادة الصواب ووضع الأـمور فى مواضـعها ثم عـادت أدراجهـا إلى بيتهـا،وفى هـذه المرة أخـذ الأنصار يهمهمون، ولم يخف على أبى بكر سـر هـذه الهمهمـة إذ إنّ شـركاءه كـانوا قـد نقلوا إليه النشـاط التعبوى الـذى يقوم به أمير المؤمنين عليه السـلام ليلاً، فما إنْ عادت الزهراء عليها السـلام ادراجها حتى قام أبو بكـر خطيباً منـدداً بالأنصار ومهـدداً إياهم ومعرّضاً بالزهراء وأمير المؤمنين عليهما السلام.

ولم يكتف بـذلک بل ضّ من خطابه شـراء الـذمم بالأموال وهـدد من لم يسـتجب بقطع عطائه من بيت المال وأثبت ذلک عملياً حيث أمر الجالسـين بالذهاب لاستلام عطيائهم، وفى أثناء خطابه اعترضت السيدة أم سلمة رضوان الله عليها(1) على تعريض أبى بكر بالزهراء عليها السلام فأمر أبو بكر بقطع عطائها من بيت المال سنة كاملة.

الهجوم الثانى على دار فاطمة عليها السلام

أحس القوم أنّ أمير المؤمنين والزهراء عليهما السـلام أصـبحا يشـكلان تهديـداً جـدياً للحكم القائم وبدت آثار نشاطهما التعبوى تلوح فى الأفق، إذ هذه الاستجابة الضعيفة من الأنصار والتفانى العظيم من خيار الصحابة لن يمر عليه زمن طويل حتى

1- دلائل الإمامـة ص 122، السـقيفة وفدک ص 104، بحـار الأنوار ج 92ص 326، فـدک فى التاريخ ص 67، 117، مواقف الشيعة ج 1ص 476، شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد ج16 ص 214، اللمعة البيضاء ص 744.

تكون إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام قوة عسكرية يتمكن بها من الإطاحة بالنظام القائم، فعقدت قيادات السلطة اجتماعاً بحثوا فيه كيفية التعامل مع معطيات الأحداث الجديدة وقرروا القيام بإجرائين سريعين:

1 _ الهجوم على دار أمير المؤمنين عليه السلام وإجباره على البيعة وقتله إن لم يستجب.

2 _ انفاذ بعث أسامة وإجبار من يشک فی أن له ميلاً لأمير المؤمنين عليه السلام من الأنصار فی هذا البعث لتفريغ المدينة منهم.

ونفذت السلطة الخطة وأرسلوا قنفذاً يدعو أمير المؤمنين عليه السلام للبيعة فرفض الاستجابة لهم وتكرر ذلک ثلاث مرات.

فحمل عمر الحطب وأخذ معه قوة عسكرية كبيرة وأحرق باب دار الزهراء عليها السلام فوقفت عليها السلام وراء الباب تح_رج عليهم الدخول عنوة إلى الدار التی لم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يدخلها إلاّ مستأذناً.

ولم يعبأ المهاجمون بوجود الزهراء صلوات الله عليها خلف الباب بل دفع عمر الب_اب وعصرها خلف الباب وضغط الباب بقوة حتى تكسرت أضلاعها وأنَّتْ عليها السلام لشدة الألم وأسقطت جنينها فوقعت إلى الأرض مغشياً عليها.

وسمع أمير المؤمنين عليه السلام أنينها ف_ثار إلى سيفه فی الوقت الذی اقتحم المهاجمون دار فاطمة عليها السلام وكاثروا أمير المؤمنين عليه السلام وس_ارعوا إلى سيفه لئلا يقع فی يده واقتادوه يجرونه إلى الخارج وهو يمتنع عليهم وتكاثروا عليه وجروه حتى أخرجوه من داره عنوة.

أمير المؤمنين عليه السلام فى المسجد النبوى

وفى المسجد النبوى جرت مجادلات كثيرة بين أمير المؤمنين عليه السلام وأبى بكر، ووقف إلى جنب أبى بكر عمر وأبو عبيدة فى محاولة منهم لدعم حجة أبى بكر، ولكنهم عجزوا عن إقامة الحجة على أمير المؤمنين عليه السلام بل عجزوا عن مقاومة حجته بالحجة فهددوه بالقتل إنْ لم يبايع فلم يبايع عليه السلام.

وكان القوم يحاولون إكراه أمير المؤمنين عليه السلام على البيعة وهو يرفض وبدأوا يهيئون الأجواء لقتله وفى هذه الأثناء أفاقت السيدة فاطمة عليها السلام من غشيتها وسألت عن أمير المؤمنين عليه السلام فأخبروها الخبر وكانت عليها السلام تدرك أهداف اقتياد أمير المؤمنين عليه السلام فخرجت من دارها وهى تتجرع الآم الإسقاط وكسر الضلع لمنع القوم من الوصول إلى مآربهم.

فرآها أحد زعامات التحرك القرشى وعرف أنها إن وصلت إلى قرب أمير المؤمنين عليه السلام فإنهم لن يستطيعوا الوصول إلى غايتهم فنهض إليها وأمرها بالرجوع إلى دارها فأبت فرفع يده وصفع وجهها الطاهر صفعة تناثر لها قرطها واحمرت لها عينها وبقيت محمرة العين حتى وفاتها وكرر أمره لها بالرجوع فأبت فأمر قنفذاً والأوباش بإرجاعها عنوة وتسارع إليها الأوغاد يضربونها بما نالته أيدهم فبعض بنعل سيفه وبعض بالسوط وهى تتجرع الألم وتمضى إلى الأمام لمنع القوم من الوصول إلى ما يريدون من أمير المؤمنين عليه السلام وكانت الأحداث تجرى على مرأى من أبى بكر الذى شاهد تحركاً استنكارياً عنيفاً بين الأنصار، فخشى انقلاب الأمر عليه فأصدر أمره بالكف عن أمير المؤمنين عليه السلام وقال إنّه ما دامت الزهراء عليها السلام إلى جنبه فإنّه لا يكرهه على ما لا يريد،وفى الحقيقة لم يكن ذلک إلاّ تسكيناً لثورة الأنصار وخوفاً من انقلاب الأمر عليه وإلا فإن

الزهراء عليها السلام كانت إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام منذ اللحظة الأولى(1).

وعـاد أهل البيت النبوى صـلوات الله عليهم إلى دارهم بعـد أنْ يأس المتآمرون من الوصول إلى ما يريـدون_ه منهم، وبعـد أنْ تجرّعوا من الآلام ما عرض_وا به أبدانهم الطاهرة إلى ألوان العذاب حفاظاً على شـريعة سـيد المرسـلين صـلى الله عليه وآله وسـلم من أن تتلاعب بها أيادى أوباش العرب(2).

الشيعة فى مواجهة السلطة

بعد إن انتهت الأحداث المأساوية رجع أمير المؤمنين عليه السـلام إلى بيت_ه واعتزل الناس وشرع فيم_ا بدأ ب_ه من جمع القران الكريم تنفيذاً لوصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودامت مدّة الجمع ستة اشهر.

وفى هذه المدّة قرر جمع من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام الوقوف بوجه السلطة

1- الأمالى- الشيخ الصدوق ص 174 ح178 / 2، الهداية الكبرى ص 407، الطرائف ص238، بحار الأنوار ج19ص 351، ج 28ص 38 ، 333 ، 409، ج 30ص 136، ج 31 ص 59، ص620 ح101، ج34 ص172 ح13، المصـنف - ابن أبى شـيبة الكـوفى ج8 ص572، شرح نهج البلاغة ج2 ص47، ج14 ص193، كنز العمال ج5 ص189،651، تاريخ الطبرى ج2 ص443.

2- أغلب مصادر العامـة أشارت إلى الهجوم الأول على دار فاطمـة عليها السـلام الـذى نشأ عنه خروج المعتصـمين من دار الزهراء عليها السـلام وقليل من المصادر العامة ذكرت الهجوم الثانى الذى أخرج فيه أمير المؤمنين عليه السلام ملبباً بحمائل سيفه، أما المصادر الشيعية فإنها ذكرت كلا الهجومين ولكن لم تشـر تلك المصادر إلى وقوع هجوم واحـد أو اثنين إلا أنّ سـير الأحـداث يجعل احتمال كون الهجوم على مرحلتين قوياً جداً.

الأركان الأربعة سـلمان وأبو ذر وعمار والمقداد وانضم إليهم من الشيعة خالد بن سعيد ين العاص الأموى وبريدة الأسلمى وسهل وعثمان ابنـا حنيف الأنصاريـان وخزيمـة بن ثابت ذو الشـهادتين وأبى بن كعب وأبو الهيثم بن التيهان وأبو أيوب الأنصارى رضوان الله عليهم وكان بلال الحبشـى رضوان الله عليه ـ مؤذن النبى صـلى الله عليه وآله وسلم ـ ممن امتنع عن بيعة أبى بكر وفاءً لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام التى فى عنقه، وترک المدينة بعد ما جرى على بيت فاطمة عليها السلام والتحق بالشام حتى وافاه الأجل هناک.

وجرت مشادات بين السـلطة وأتباعها من جهة وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام من جهة أخرى، وأفاق الأنصار من غفلتهم وعلموا بسوء ما جَرَّت أيديهم فى السقيفة فأخذهم تأنيب الضمير وبدأوا بالعودة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وخشى رجال السلطة إنْ استمر حال الأنصار على ما هو عليه أنْ تكون إلى جنب أمير المؤمنين عليه السـلام قوة عسكرية من شأنها أنْ تغير موازين الصراع هذا بالإضافة إلى الخطر الذى يشـكله مالک بن نويرة رضوان الله عليه خارج المدينـة الـذى من الممكن أنْ يلتحق بأمير المؤمنين عليه السـلام فى أىّ لحظـة يدعوه فيها، فقرروا إخراج الأنصار من المدينة لحين اسـتتباب الأمور، فأصدرت الأوامر إلى أسامة بن زيد أن يسـير بالبعث الذى أمره به النبى صلى الله عليه وآله وسـلم وأرسل فى البعث كل الشخصيات التى من الممكن أن تقف إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام اوتكون مؤثرة فى كسب المسـلمين إلى جنبه، وبهذه الطريقة افرغت المدينة من الشخصـيات التى من المحتمل أن تقف إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام بينما كـانت أس_لم ما تزال تحتل المدينـة المنورة بالإضافـة إلى المتخلفين عن بعث أسامـة الـذين عصوا النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فى أخريات أيامه عليه السلام.

ب _ التحديات خارج المدينة

كانت التحديات الداخلية لدولة أبى بكر خـارج المدينة تتمثـل فى القبائل المرتدة وبنى يربوع. وكان على أبى بكر أن يعمل عملاً سـريعاً للقضاء على الحركتين لمنع انقضاضـهما على سـلطانه، فانتـدب لـذلك خالد بن الوليد وأوصاه بالقضـاء على مالك بن نويرة رضوان الله عليه، أمّا الآخرون فإن رضوا حكم أبى بكر فهو وإلاّ فعليه إبادته_م، وعلى العكـس من أبى بكر الذى كان يرى ضـرورة الإسراع فى القضاء على المخـالفين لحكمه خشـية قوة ش_وكتهم أو توحـد كلمتهم ضـد ملكه، كـان عمر يفضـل كسب القبائل ويخشـى إن خرجت القوات العسكرية من المدينة انقضاض أمير المؤمنين عليه السلام عليهم.

كان خالد بن الوليد يرى رأى أبى بكر فاستجاب لما ندبه إليه وأسرع فى مهاجمة القبائل ومداهمتها والقضاء على المخالفين لحكم أبى بكر.

وكان أبو بكر يحدس حنكة مالك واحتياطه فأمر علناً توقف الجيش عن تركيع القبائل إذا فرغ من البزاخة حتى يصل أمره اليهم، بينما أوصـى خالد سراً بالقضاء على مالك متى ما سنحت الفرصة.

كان مالك بن نويرة رضوان الله عليه يتوقع مهاجمة قوات السـلطة المركزية بعد أنْ رفض الخضوع لها وأصـرّ على الوفاء لأمير المؤمنين عليه السـلام، لـذا كان هو وقومه على أهبة الاسـتعداد فكانوا يحملون سـلاحهم معهم ليلاً ونهاراً، ولما فرغ خالد من هوازن أراد التوجه إلى بنى يربوع فرفض من فى الجيش من الأنصـار السـير معه،لأـن القوم ليسوا بأهـل ردة كمـا أنّ أبا بكر أمرهم علناً بالتوقف عنـد هوازن، ترك خالد الأنصار وأخذ من معه من الأعراب وقريش وداهم بنى يربوع ليلاً فوجد القوم قد أخذوا الس_لاح وهم على استعداد لخوض الحرب فخشى أن تدور عليهم الدوائر فغير خطة الهجوم.

ولما وصلت قوات خالد بيوت بنى يرب_وع سأل بنو يربوع المهاجمين من هم فقالوا نحن المسلمون فقال بنو يربوع ونحن مسلمون.

وسـأل المهـاجمون عن العلـة التى ثـار لأجلها القوم إلى سـيوفهم فأخبروهم إنّ ذاک كان بسب_ب مـداهمتهم إياهم فى الليل ونزل القوم أضـيافاً على بنى يربوع وأحسن بنو يربوع ضـيافتهم واتفق خالد مع أصحابه إنّه إنْ نادى ادفئوا أضيافک_م فعلى كل واحد من أجلاف الجيش أنْ يقتل مضـيفه، وكان السـبب فى اختيار هذا النداء كون الهواء شديد البرد فلا يلتفت بن_و يربوع إلى ما يريده بهم ضـيوفهم الأوفياء لكرم الضيافة.

وهكـذا استشـهد مالک بن نويرة رضوان الله عليه غيلـة وغ_دراً، وبع_د شـهادته نزا خالـد بن الوليد على زوجته التى لم يدخل به_ا بعد اذ كانت شهادة مالک فى ليلة زفافه ولم يكتف خالد بتلک الوحشية الخارج_ة حتى ج_عل رؤوس الش_هداء أثاف للقدور.

وأوقـدت النيران تحت القـدور ثلاثـة أيّـام إلاّ أنّ النار لم تصل إلى وجه مالک بن نويرة رضوان الله عليه ولما علم أبو قت_ادة الأنص_ارى بشـهادة مالک وما ارتكبه خالـد من الموبقات اقسم أنْ لا يقاتل فى جى_ش اميره خالـد، وعاد أدراجه إلى المدينة وأخبر أبا بكر بما يقوم به خالد من آثام، وفوجئ أبو قتادة بموقف أبى بكر الذى قابل_ه بالغضب وأمره بالرجوع من فوره إلى بعث خالد، وأبو بكر يعلم أنّ ديمومة ملكه متوقف على منح خالد حصانة قضائية.

كان موقف أبى بكر وس_كوته تجاه جرائم خالد بن الوليد باعثاً لاستغراب المسلمين واستنكارهم.

وعلم عمر أنّه إنْ ترک الأمر على ما هو على_ه فإن الظرف س_يصب فى صالح خصومهم السياسيين لذا أزبد وأرعد وتوعد بإقامة الحد على خالد بن الوليد إنْعاد.

ولم يكن ما أزبـد وأرعـد به عمر إلاّ ذراً للرماد فى العيون وأكبر دليل على ذلک أنّ خالـداً لما عاد إلى المدينـة ورآه عمر لم يفعل شـيئاً مما توعد وهدد به خالداً بل سكت والتزم الصمت.

وأمّا المرتـدون فالحـديث عنهم خارج عن بحثنا، إلاّ أنهم كانوا يشـكلون تهديداً سياسـياً وعسـكرياً للدولة فكان لابد من القضاء عليهم فى أسرع وقت وهو ما نفذه الجيش الذى بعثه أبو بكر لقمع معارضيه مهما كانت انتماءاتهم(1).

التحول فى الوضع الشيعى

ليس التشـيع مـذهباً سياسـياً بحتاً ولا مذهباً خلقته الظروف المسـتجدة بعد وفاة النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم بل التشـيع هو الإسـلام الحقيقى الذى جاء به النبى صـلى الله عليه وآله وسلم والذى تبتنى نظريته السياسية على كون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دستوراً للدولة.

1- حول شهادة مالک رضوان الله عليه انظر: وسائل الشيعة ج 1ص 16، الإيضاح ص 133, المسترشد ص 256، ص 513، التعجب ص 40,الفضائل ص 75، ص 99، الصوارم المهرقة ص 83، ص 137، بحار الأنوار ج 29 ص 55، بحار الأنوار ج 30 ص 344، المصنف ج 10 ص 174، الفائق فى غريب الحـديث ج 3 ص 65، شـرح نهج البلاغة ج 1ص 179، ج 17 ص202، كنز العمـال ج 5 ص 619، طرائف المقال ج 2ص 106، تاريخ خليفة بن خياط ص68، الثقات - ابن حبان ج 2ص 169، تاريخ مدينة دمشق ج 16ص 256، أسد الغابة ج2ص 95، ج 4ص، سير أعلام النبلاء ج 1ص 376، الإصابة ج 2ص 218، ج 5 ص 560، معجم البلدان ج 1ص 455، فتوح البلـدان - البلاذرى ج 1ص 117، تاريخ اليعقوبى ج2 ص131، تاريخ الطبرى ج 2 ص 501، البداية والنهاية ج 4 ص 360، ج 6ص 354، تاريخ ابن خلدون ق2 ج 2 ص 73، الاستغاثة ج 1 ص 7، السيرة النبوية ج 3 ص 594، النزاع والتخاصم ص 85.

وأحد مفردات الدستور أن يكون المتولى لأمور السياسة معصوماً، أو مأذوناً له من المعصوم عليه السلام فى قيادة الدولة وإدارة أمورها.

ولهذا كان الشيعة فى عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمثلون خط الدولة وأما بعد رحيل النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبسب تبنى السلطة عزل الإمام المعصوم عن القيادة بجميع أشكالها السياسية والإجتماعية والفكرية أصبحوا يشكلون قوة من قوى المعارضة للسلطة الحاكمة.

وفى أوائل أيام حكومة أبى بكر كانت على الصعيد الداخلى قوتان مخالفتان للدولة، الأولى الذين دعوا إلى الاستقلال عن حكومة المدينة وهم المرتدون ومدعو النبوة، والثانية الشيعة الداعون إلى إقامة دولة دستورية دستورها القرآن وقائدها المعصوم عليه السلام.

أوضاع الشيعة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم

قررت الحكومة منع وصول أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته إلى أىّ مفصل من مفاصل الحكم وحاصروهم اقتصادياً وإعلامياً وأمنياً، بحيث كان أفراد السلطة يعارضون زيارة الناس لأهل البيت عليه السلام ويحاولون فرض العزلة الاجتماعية على آل البيت النبوى وأتباعهم ما أمكنهم إلى ذلک سبيلاً.

كان أبو بكر منهمكاً فى القضاء على التحركات السياسية والعسكرية التى كانت تشكل تهديداً خطيراً ومباشراً لحكمه ولذلک لم يهتم كثيراً بأمر التثقيف والتعليم خصوصاً وإنّ القبائل التى يريد إخضاعها كانت قد دخلت الإسلام فى حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن الجهاز الحاكم يشعر بحاجة ملحة إلى بذل سعى كبير لبنائهم ثقافياً وفكرياً.

وأهم المخاطر التى كانت تواجه أبا بكر على الصعيد الفكرى أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم التى أشاد فيها كثيراً بأمير المؤمنين عليه السلام وكان عند أبى بكر مجموعة مدونة من تلك الأحاديث وكان محتاراً فى كيفية التعامل معها فهى من جهة تمثّل ثروة ثقافية عظيمة وستساعده فى التصدى فى المجال الفكرى، ومن جهة أخرى إنّ التاكيد على أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصب فى صالح أمير المؤمنين عليه السلام على المدى البعيد، فقام أبو بكر بعد ذلک بإتلاف خمسمائة رواية مكتوبة سمعت من النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكان قد حرم بفعله ذاک الأمة من الانتفاع بها خشية عودة الأمة إلى أمير المؤمنين عليه السلام لكن أبا بكر لم يجد الشجاعة الكافية لإصدار أمر عام قاض بإتلاف كل ما دوّن عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمّا الشيعة فهم أمام هذه الهجمة الشديدة عملوا ما بوسعهم فى سبيل بث العلوم النبوية داخل المجتمع وشرعوا بتعليم أبنائهم ومواليهم ما يجعلهم فى الغد جنوداً مؤثرين فى إقامة الحق وإعادته إلى أهله.

وأمّا على الصعيد الاقتصادى فإن السلطة الحاكمة منعت أنصار أمير المؤمنين عليه السلام من الاشتراک فى الفتوحات لتمنع حصولهم على الثروات المالية التى تعود الفتوحات بها على الجيش.

لذا توجه أمير المؤمنين عليه السلام والشيعة إلى استصلاح الأراضى وزرعها فتخلصوا من الحصار الاقتصادى المفروض عليهم.

وعلى الرغم من أنّ واردات الزراعة ليست ضخمة جداً إلاّ أنّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كانوا كثيرى الصدقة مما مهد لاستقطاب الناس وكسبهم إلى صف أمير المؤمنين عليه السلام.

تطورات التصدى الشيعى

بعـد إنْ انتهى الموقف فى التصـدى إلى مـا وصـل إليه من الهجوم على دار الزهراء عليهـا السـلام وما راقفه من مآسٍ إسودّ لها وجه التاريخ كانت هناک عدة حوادث شـكلت مفردات من حركة التصدى للسلطة القائمة، قام بأحدها الإمام الحسن عليه السلام وبالبقية السيدة فاطمة عليها السلام.

أمّا حركة الإمام الحسن عليه السلام فتمثلت بوقوفه فى وجه أبى بكر وهو على المنبر وقال له أمام الأشهاد:

(انزل عن منبر أبى).

كان لكلمته عليه السـلام وقع الصاعقة على أبى بكر إلاّ أنّ الأخير كان يعلم أنّ الوضع الذى تعيشه المدينة يقتضـى التعامل بلين مع موقف الإمـام الحسن عليه السـلام فأظهر اللين والحب والعطف تجاه الإمام الحسن عليه السـلام وغير فى جوابه المراد من كلمـة أبى عن معاناها العرفى ـ الـذى يعلم أبو بكر أنه مراد الإمام الحسن عليه السـلام ـ إلى معناها المصـطلح على الحسـنين عليهما السـلام فأجابه (نعم، منبر أبيک لا منبر أبى) يريد أنه منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا منبر أبى قحافة.

أما المواقف الأُخَر فكانت للزهراء عليها السـلام التى بلغ بها الحزن على فقـد النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم مبلغه وأضـيف إليه هضـم الوصـى حقه والإهانـة والإذلال الـذى جوبهت به عليها السـلام وعـدم رعايـة حرمتها ولا حرمة بيتها، وكل ذلک قد جرى ولم يطل العهد برحيل أبيها، بل ما زالت ذكراه شاخصة فى أنظار الجميع.

كانت عليها السلام تبكى أباها ليلاً ونهاراً وهى تعلم أنّه لم يبقَ لها من العمر إلاّ أياماً قلائل، وكان بكائها الشجى الذى وُصِف بأن جدران المدينة كانت تحن لحنينها وتإن لأنينها بحيث عجز الرجال عن مزاولة أعمالهم والاس_تقرار فى بيوتهم لأنّ بكاءها عليها السلام كان يهز أعماق القلوب ويكويها بنيران تأنيب الضمير مما جعل عواطف عامة المسلمين ترنو إلى آل البيت عليهم السلام بل وأصبحت الهمهمة تسرى داخل البيوت، فخشى رجال السلطة من مغبة الأمر فقرروا محاربة الزهراء عليها السلام فى بكائها إذ أصبح يشكل إدانة واضحة لجميع أعمالهم.

فاجتمع زعامات السلطة القرشية وطلبوا مِنْ أمير المؤمنين عليه السلام أن يطلب من السيدة فاطمة عليها السلام الكف عن البكاء، لأنه يخل براحة أهل المدينة، وكان عليه السلام يعلم بما انطوت عليه أنفسهم ولكنه مع ذلک أبلغ الزهراء عليها السلام طلبهم فأبت إلاّ أنْ تستمر بالبكاء فأبلغهم عليه السلام أنّ الزهراء عليها السلام ترفض مطالبهم فقرروا الاستمرار فى الضغوط على أمير المؤمنين عليه السلام لحين تحقيق ما يريدون وهو لا يستجيب لهم، ثم طلبوا منه أن يكون بكاؤها وقتاً دون وقت فأبلغها عليه السلام طلبهم، وأدركت عليها السلام مدى الضغوط التى تعرض لها أمير المؤمنين عليه السلام فطلبت منه أن تمضى النهار خارج المدينة تنعى أباها وتعود فى الليل إلى بيتها، فأجابها عليه السلام إلى ذلک. فكانت تبكر مصطحبة الحسنين عليهماالسلام خارج المدينة تندب أباها مستظلة بأراكة هناک، ويعود بها أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً إلى بيتها.

كان وجودها عليها السلام خارج المدينة يش_كل إدانة أخرى للحالة القائمة مما دفعهم لقطع الأراكة لتكون الزهراء عليها السلام تحت أشعة الشمس المحرقة عسى أن تكف عن بكائها، إلاّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام بنى لها داراً _ عُرِفت بعد ذلک ببيت

الأحزان _ كانت تمضى نهارها فيه مع الحسنين عليهم السلام ويعود بهم أمير المؤمنين عليه السلام ليلاً إلى دارها.

وأسقط فى أيدى القوم حيث لم يعودوا قادرين على فعل شىء تجاه الزهراء عليها السلام التى كان وجودها هناك يشكل إدانة أخرى لهم إذ كان بكاء الزهراء عليها السلام فى جميع أدواره _ بالإضافة إلى الصفة القدسية التى يحملها _ يسجل إدانة للقوم عبر التاريخ و كر العصور.

والحادث الآخر الذى كان يشكل مفردة من مفردات التصدى للسلطة خطبة الزهراء عليها السلام فى نساء المهاجرين والأنصار عندما عدنها أيام مرضها الذى توفيت فيه وفيها نددت الزهراء عليها السلام بالمتآمرين والساكتين عن الحق والقاعدين عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام.

وقامت النساء بنقل خطبة الزهراء عليها السلام إلى أزواجهن بحيث أضحى حديث الساعة فى المدينة، والحادثة الثالثة تفويتها الفرصة على أبى بكر وعمر حيث أنهما كانا يقرآن فى وجوه القوم التنديد بهما بسبب موقفهما من الزهراء عليها السلام التى روت الأمة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الله تعالى يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، فأرادا زيارتها فى بيتها والاعتذار منها عما بدر من تجاوزات لحقها.

وكانت غايتهما من ذلک كسب الأصوات إلى جانبهما وإخراس الألسن وكم الأفواه التى تعرض بهما ليلاً ونهاراً بسبب اغضابهما لبضعة المصطفى عليه السلام فطلبا من أمير المؤمنين عليه السلام أنْ يستإذن لهما عليها، فأخبرها عليه السلام بطلبهما فأذنت لهما، فلما دخلا أشاحت بوجهها إلى الحائط فقدم الرجلان اعتذارهما وطلبا منها الصفح والعفو عما ارتكباه فى حقها.

طلبت منهما الزهراء عليها السلام أنْ يصدقاها الحديث لتستبين صحة

دعواهما فی طلب الصفح فأجاباها إلی ذلک فسألتهما عن قوله صلی الله علیه وآله وسلم:

(فاطمة بضعة منی فمن آذاها فقد آذانی)(1).

فأجابا بأنهما سمعاه من النبی صلی الله علیه وآله وسلم فرفعت یدیها الشریفتین إلی السماء وقالت:

(اللهم إنهما قد آذیانی فأنا أشکوهما إلیک وإلی رسولک، لا والله لا أرضی عنکما أبداً حتی ألقی أبی رسول الله وأخبره بما صنعتما فیکون هو الحاکم فیکما).

فخرج الرجلان ولم یتحقق لهما ما أرادا، ولم یقف الأمر عند هذا الحد بل لما دنت الوفاة من الزهراءعلیها السلام أوصت أمیر المؤمنین علیه السلام أن یدفنها سراً ولا یُعلم الذین ظلموها واشترکوا فی ظلمها بوفاتها ولا یسمح لهم أنْ یصلّوا علیها أو یقفوا علی قبرها فأجابها علیه السلام إلی کل ذلک فدفنها سراً وعفی موضع قبرها فلم یُعلم موضع قبرها بعد ذلک إلاّ الخواص ممن اشترک فی دفنها علیها السلام.

1- من لایحضره الفقیه ج 4 ص 124، الأمالی- الشیخ الصدوق ص 165، 175، 575، کفایة الأثر- الخزاز القمی ص 37، 64، 65، التعجب ص 55،، فضائل الصحابة- الإمام أحمد بن حنبل ص 78، شرح مسلم - النووی ج 16 ص 2، فتح الباری - ابن حجر ج 7 ص 63، المصنف - عبد الرزاق الصنعانی ج 7 ص 301ح 13268، ح 13269، المصنف _ الکوفی ج 7 ص 526 ح 33، ص 527ح6، الآحاد والمثانی-الضحاک ج 5 ص 361 ح، ص 362 ح2957، تثبیت الإمامة- الهادی یحیی ابن الحسین ص 28، السنن الکبری - النسائی ج 5 ص 97 ح8370، ص 147ح 8518، ح 8519، خصائص أمیر المؤمنین علیه السلام- النسائی ص120.

أدركت السلطة الغاية التى من أجلها لم يخبروا بوفاة الزهراء عليها السلام ولم يؤذنوا بها للاشتراک فى الصلاة عليها وتشييعها ودفنها والوقوف على قبرها وبدا واضحاً لهم الغاية من إعفاء قبرها فقرروا نبش كل قبر جديد لإخراج الجثمان الطاهر والصلاة عليه وإظهار موضع القبر، وعلم أمير المؤمنين عليه السلام بنواياهم فلبس سلاحه واستعد لخوض الحرب إنْ تجرأ القوم على مس ذرة من تراب القبور التى أُحدثت فى تلک الليلة وجادله القوم فأغلضوا له واغلض لهم ووقف بنو هاشم والأنصار إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام وعلم القوم أنهم إنْ تجرأوا وقعت الحرب فعادوا أدراجهم وقد فشلوا فى تحقيق ما أرادوا.

وبهذا سجلت الزهراء عليها السلام موقفاً واضحاً من السلطة الحاكمة، ذلک أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يترک فى أمته إلاّ بنتاً واحدة ولم تقم بينهم الا مدّة قصيرة وكان المفروض على أقل التقادير رعاية حق أبيها عليه السلام الذى أخرجهم من ظلمات الشرک إلى نور التوحيد فضلاً عما لها فى ذاتها من كمال فكيف وهى سيدة نساء العالمين التى رضاها وغضبها دليلاً على رضا الرب وغضبه، فكان المفروض أنْ تُحْمل فى آماق العيون وجنبات القلوب، إلاّ أنها ظلم_ت وقهرت وأذلت ولم ترع حرمتها ولا حرمة بيتها، وهكذا سجلت الزهراء عليها السلام للتاريخ موقفها الخالد من مجريات الأحداث فى تلک المدّة العصيبة على أهل البيت عليهم السلام.

وبعد شهادة الزهراء عليها السلام ويأس القوم من اعتراف أمير المؤمنين عليه السلام بشرعية سلطتهم، فكر القوم بتصفية أمير المؤمنين عليه السلام جسدياً وكلف أحد شخصيات بنى مخزوم باغتيال أمير المؤمنين عليه السلام فى باحة المسجد النبوى بعد الفراغ من تسليم صلاة الصبح.

علمت السيدة أسماء بنت عميس رضوان الله عليها بتفاصيل المؤامرة فأرسلت

أمتها إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام وأمرتها أن تتلو قوله تعالى:

(إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِکَ)

فعلم أمير المؤمنين عليه السلام مغزى الرسالة.

وفى صبيحة اليوم الذى كان من المقرر اغتيال أمير المؤمنين عليه السلام فيه تردد صاحب القرار كثيراً وخشى عاقبة الأمر خاصة وإنّ عملية الاغتيال ستقع أمام أنظار الجميع فأحجم وفكر كثيراً ولم ينطق بتسليم الصلاة مدّة طويلة أثارت استغراب المصلين، ثم قال قبل أن يسلم (لا يفعلن..... ما أمرته به)، وهنا فضح أمير المؤمنين عليه السلام سر المؤامرة وأمسک بالرجل المخزومى حتى أحدث على نفسه.

وبعد أنْ علم بنو هاشم بالمؤامرة جاء العباس ومعه باقى الهاشميين والزبير وقد اخترطوا سيوفهم وهددوا القوم انهم لن يستكوا أنْ أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام بسوء مما أربک موقف السلطة الحاكمة وأجبرها على التراجع عن التفكير فى تصفيته عليه السلام بهذه الطريقة مرة أُخرى(1).

1- الأصول الستة عشر ص 18، علل الشرائع ج 1 ص 191، خاتمة المستدرک ج 1 ص 123، الإيضاح ص 156، 157، 158، المسترشد ص 451 ح147، ص 453، 455، الاحتجاج ج1 ص 118، 127، كتاب الأربعين- محمد طاهر القمى الشيرازى ص 528، بحار الأنوار ج28 ص 305، كتاب الأربعين- الشيخ الماحوزى ص 267، ج 4ص 188، مواقف الشيعة ج2 ص300، السقيفة أم الفتن ص 60، تفسير القمى ج 2ص 159، اختيار معرفة الرجال ج2 ص 695، معجم رجال الحديث ج 9ص 160، الاستغاثة - أبو القاسم الكوفى ج1 ص15، ج2 ص 78.

الفصل الثالث: الشيعة فی عهد عمر بن الخطاب

اشارة

بعـد تولى أبى بكر الحكم واس_تتباب الأمر له، بعث الجيوش إلى الش_ام والعراق فى محاولـة منه لتوسـيع رقعـة الدولـة، وكانت الغزوات ناجحة بسـبب القوة البشـرية والقتالية الجيدة والنظام العسـكرى الممتاز الذى أضافه النظام الإسلامى إلى حياة العرب الذين كانوا يتمتعون بصـفات قتالية وبسالة عاليتيتن فى الوقت الذى كانت الإمبراطوريتان الرومية والفارسـية تعيشان حالة متدهورة بسـبب الصـراعات الداخلية والحروب الخارجية.

لم ترغب القوى العاملة فى الخفاء ببقاء أبى بكر لمدّة طويلة فى الحكم فقرروا القضاء عليه، وليس من البعيد قيامهم بعدة محاولات لتحقيق هذه الغاية.

كان أبو بكر يتوقع محاولتهم ذلک لـذا كان محتاطاً جـداً وكان أشـد ما يخشاه دس السم، ولشدة حيطته كان على مائدته دوماً طبيبه الخاص الحارث بن كلدة الذى كان يتمتع بخبرة عالية فى مجال السـموم إلاّ أنّ احتياطه ذاک لم ينفع فى دفع غائلة القوم حيث تمكنوا من دس سـم بطئ المفعول إليه فسم هو وطبيبه معاً، وأخبر الطبيب أبا بكر أنّه قد دُسّ إليهما سم بطئ المفعول يقتل فى مدة سنة.

اعتراض القرشيين على تنصيب عمر

ينص المؤرخون أنّ العديد من الشخصيات القرشية وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف كان يعترض على أبى بكر بعد أنْ علم أنّه يريد أن يوصى بالخلافة من بعده لعمر وتوالت الاعتراضات من شخصيات قرشية عديدة لمنع أبى بكر من الايصاء من بعده لعمر إلاّ أنّ أبا بكر لم يستجب لهم وفى أخريات أيام أبى بكر وبالاتفاق مع عثمان بن عفان الذى كتب وصية أبى بكر بيده عين فى وصيته عمر بن الخطاب حاكماً من بعده.

استمر الموقف المعارض للشيعة وزعيمهم الأول أمير المؤمنين عليه السلام على حكم أبى بكر ورفض بيعته حتى موته، كان للشيعة موقف مماثل أيام عمر ففى آخر لحظات أبى بكر خرج عمر على الناس بكتاب مختـوم وأخبرهم أنّ فيه وصية أبى بكر وهو يريد منهم أنْ يقسموا على الوفاء بما فى الكتاب، فى محاولة لاستدرار عواطف الناس التى تجيش فى مثل هذه الأوقات مما يجعل مواقفهم عاطفية أكثر مما هى موضوعية، فسأله أحدهم ـ وهو أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد شيعته ـ عن مضمون الكتاب فادّعى عمر عدم علمه بما فى الكتاب فأجابه السائل أنّ الذى فى الكتاب عهد أبى بكر بالخلافة إليه، وبهذه الصورة سلب القرشيون إرادة الأمة ـ إن كان للأمة الحق فى تعيين الإمام ـ مرتين الأولى فى سقيفة بنى ساعدة وما جرى بعدها من أحداث والثانية عندما عين أبو بكر عمر حاكماً للدولة من بعده بغير مشورة من المسلمين ولا رضا منهم به(1).

1- علل الشرائع ج 1ص 151، معانى الأخبار ص 361، الإيضاح ص 518، الفصول المختارة ص247، الإرشاد المفيد ج 1 ص 288، التعجب ص 35، - الأمالى- الشيخ الطوسى ص372 ح 803 / 54، الاحتجاج ج 1 ص 284، مناقب آل أبى طالب ج 2ص 48، الطرائف ص 418، حلية الأبرار ج 2ص 290، بحار الأنوار ج 28ص 374، بحار الأنوار ج29 ص 498، 519، ج30ص 504، 519، 568، المعيار والموازنة ص 46، شرح نهج البلاغة ج 1ص 165، ج20 ص24، الطبقات الكبرى ج3 ص200، تاريخ مدينة دمشق ج30 ص41، ج44 ص253، أسد الغابة ج4 ص69، تاريخ المدينة ج2 ص667، تاريخ اليعقوبى ج2 ص137، تاريخ الطبرى ج2 ص617، تاريخ ابن خلدون ق2 ج2 ص85، - الإمامة والسياسة ج1 ص37.

كان على عمر أنْ يقوم بعـدة أعمال للسـيطرة على الأوضاع داخل المدينـة عشـية وفاة أبى بكر، فكان عمر يعلم أنّ أبا بكر مات بالسم الذى دسـه المتآمرون واكتشاف موت أبى بكر بالسـم من شأنه أن يربك الوضع فى المدينة فقرر دفنه ليلاً بصورة سـرية ولم يحضر موارته سوى أقل عدد من أهل بيته.

ولكن خبر وفـاة أبى بكر مسـموماً لم يخف على بنـاته فكانت أم فروة تشـير إلى ذلك فى نياحتها على أبيها فعرف عمر ذلك فاسـتدعاها إلى خارج الدار وضربها بالدرة فلم تعد إلى ذلك خوفاً من عمر.

عمر فى مواجهة التحديات

كانت هناك جملـة من التحـديات التى تواجه عمر بن الخطاب فى حكمه الفتى فالجيش تتوالى على يـديه الانتصارات والفتوحات وأكثرها كـان فى جبهـة العراق التى يقود الجيش فيهـا خـال_د بن الوليـد أحـد فرسان قريش وشـجعانها وأحـد القادة الماهرين فى التخطيط لإدارة المعارك، وعلى الرغم من كون خالد بن الوليد من بنى مخزوم وهم خؤولة عمر إلاّ أنّ عمر كان لا يميل إليهم ولعل ذلك ناشئ مِن وضع نفسـى خاص بسـبب الفارق الطبقى بين بنى مخزوم وبنى عدى فى الجاهلية، فبنو محزوم من تجار مكة وفرسانها وذوى الرئاس_ـة فيها، لذا لم يمض على توليه الحكم إلاّ مـدّة قصـيرة حتى وجه خالـداً إلى الشام وبعد ذلك عزله عن قيادة الجند وعين بدله أبا عبيدة بن الجراح قائداً لجند الشام.

وللس_ـيطرة على عواطف خالد وبنى مخزوم نصـبه أميراً على قنسـرين، ولضـمان جانب بنى أمية وسع فى سلطة معاوية بن أبى سفيان الذى تولى إمارة دمشق بعد وفاة

أخيه يزيد بن أبى سفيان الذى عينه أبو بكر قائـداً لجند الشام بعد أنْ منعه عمر من نصب خالد بن سعيد بن العاص الأموى أميراً على جند الشام؛ بسبب موقف الأخير من بيعة أبى بكر وتأييده لأمير المؤمنين عليه السلام.

طبيعة التحديات

على الصـعيد الخارجى لم تكن هناك تهديـدات واقعيـة تواجه دولـة عمر لأن الانتصارات المتوالية تكشف عن القدرة العسـكرية للجيش وضعف العدو مما كان يكسب الدولة الجديدة قوة عسكرية ومقاماً سياسياً شامخاً ويضيف إلى خزانة الدولة العائدات االمالية الضخمة مما يؤثر ايجابياً فى الوضع الاقتصادى العام.

والتحـديات الحقيقيـة التى كانت تواجه عمر كانت على الصـعيد الـداخلى إذ هناك أمير المؤمنين عليه السـلام وشـيعته وبنو هاشم الذين يشكلون اتجاهاً سياسياً ـ دينياً يعارض الحكم القائم ويس ـتمد قوته من القرآن الكريم والس ـنة المطهرة، وبالإضافة إليهم العوائل القرشية التى أصـبحت تطمع بالوصول إلى س ـدة الحكم بعد أنْ اصـبحوا يرون بأمّ أعينهم عظمة الدولة وتوسع رقعتها وقدرتها السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وكان لابد لعمر فى سبيل السيطرة على الأوضاع من اتخاذ التدابير التى يُؤمَن معها حكمه من التعرض للخطر.

وأهمّ ما كان يواجه عمر على الصـعيد العسـكرى الحاجة إلى القوات العسكرية، لأن القوات التى كانت فى المدينة وما حولها لم تعد كافية لسـد الحاجة العسـكرية، خاصة بعد توسع جبهة القتال، وبعد مراكز تواجد المقاتلين الذين اسـتقروا فى الكوفة والبصـرة والشام خاصة وإنّ عدداً كبيراً من قبائل اليمن انتقلت إلى الكوف ـة والبصرة، وكثير من أبنائها يدينون بالولاء لأمير المؤمنين عليه السلام.

وكان وجود شيعة أمير المؤمنين عليه السلام فى هذين المصرين المهمين وفى هذه المواقع الحساسة يعنى التغير الإيجابى فى وضع الشيعة الاقتصادى وتطور قدرتهم على العمل السياسى لذا كان عمر يحاول السيطرة على التحركات الفكرية والثقافية فى هذه المناطق وحرمانها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإضعاف النشاط الشيعى فيها.

كان ذلک على الصعيد العسكرى والسياسى، وأمّا على الصعيد الفكرى والفقهى فإن المجتمع المسلم كان بحاجة كبيرة إلى تعلم أحكام الشريعة، وكان أمير المؤمنين عليه السلام بحراً لا ساحل له، وطبيعة الناس الميل للعالم للانتهال من علمه، إلاّ أنّ الخلاف الشديد بين أمير المؤمنين عليه السلام والسلطة كان يدعوهم إلى محاولة سد النقص بعيداً عن أمير المؤمنين عليه السلام وفى سبيل سد هذا النقص من جهة،ومن جهة أخرى وهى الأهم أنّ أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم تشيد كثيراً بأمير المؤمنين عليه السلام وتنص على أنّه الخليفة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم لذا أصدر عمر أمراً بمنع رواية الحديث النبوى وتدوينه ولم يسمح إلاّ بتلاوة القرآن الكريم مع المنع من التدبر فى آياته(1).

نشأ عن منع رواية الحديث وتدوينه فراغ ثقافى كبير وكان عمر يحس بضرورة ملء هذا الفراغ بنحو لا يضر بسياسته الرامية إلى تجهيل الأمة بأهل البيت عليهم السلام فاستعان عمر بمسلمة أهل الكتاب الذين كلفهم برواية قصص العهدين، وأوكل تلک المهة إلى كعب الأحبار ووهب بن منبه الذين كانا يقومان بملء الفراغ الفكرى والثقافى الذى أوجده قرار المنع.

1- معالم المدرستين ج 2ص 45، مكاتيب الرسول ج 1ص 618، 639، كنز العمال ج 10 ص292ح 29479، ص 293ح29480، أضواء على السنة المحمدية ص 54، تدوين القرآن ص 370، تاريخ مدينة دمشق ج 40ص 500.

هـذا ما كان يجرى فى المدينة، ولخشـية عمر من عدم امتثال أمره خارج المدينة فرض الإقامة الجبرية فى المدينة على مريدى أمير المؤمنين عليه السـلام ممن عاصـر النبـى صـلى الله عليه وآله وسـلم وعلى رأس أولئـک أبو ذر الغفـارى والمقـداد بن الأـسود وعمار بن ياسـر وسلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان وبريدة الأسلمى رضوان الله عليه ومن على شاكلتهم.

وأكثر الـذين فرضت عليهم الإقامـة الجبرية كانوا من الأنصار، لذا كان عماد جيوش الفتح قريش والأعراب والذين لم يعاصـروا النبى صـلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء لن يتمكنوا من تزعم الحركة الفكرية فى المجتمع الإسلامى لعدم إمكانية روايتهم عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولتأمين السيطرة على الأوضاع وسد الفراغ الفكرى خارج المدينة أوكل كثيراً من المهام الإدارية إلى الذين عاصروا النبى صلى الله عليه وآله وسـلم ممن كانوا مخالفين لأمير المؤمنين عليه السـلام أو ليس لهم هوىً فيه كالمغيرة بن شـعبة ومعاويـة بن أبى سـفيان وعمرو بن العاص وبشير بن سعد وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله.

وكان هؤلاء يقومون بالإضافـة إلى الوظائف الأداريـة الملقاة على عواتقهم بتوجيه الثقافـة العامـة على الأسـس التى تتناسب وطرح الـدولة واهدافها.

نشأ عن كثرة الفتوحات ازدياد فى الموارد المالية للدولة وفى الوقت الذى كان منهج النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم التسوية فى العطاء بين المسـلمين إذ فى المذهب الاقتصادى الإسـلامى تكون الدولة مسؤولة عن الضمان المعيشى عن طريق توفير قدراً معيناً من حاجات الفرد لجميع المواطنين وما وراء ذلک يوفره الشخص نفسه.

وعلى هـذا سار أبو بكر فى العطاء ولعل عـدم تغيير أبى بكر للمهنـج فى التوزيع يعود إلى ضـعف الموارد الماليـة حيث أنّ سـياسة عمر فى تمييز العطاء لم يشرع بها إلاّ بعد

فتـح العراق والتوغل فى ممتلكات الدولـة الروميـة، ففى عهـد عمر حصل توسع هائل فى الإمكانيات الماليـة بسـبب سـقوط الكثير من المـدن ذات الثروة الماليـة الكبيرة بأيـدى المسـلمين وبصورة خاصـة بلاد العراق ذات الثروات الهائلـة لخصوبة أرضـها ووجود عاصـمتى الأكاسرة والمناذرة فيها، هذا فضلاً عن بلاد الشام ومصر وغيرهما من البلدان.

كانت مسألة التسوية فى العطاء تعنى توفير فرصة للمعارضة السياسـية للتحرك نحو الوصول إلى أهدافها وإسقاط الحكم القائم، لذا قرر عمر أنْ ينهـج منهجاً اقتصادياً جديـداً يؤثر فى العامل السياسـى، فقرر التمييز فى العطاء فكانت قريش مقدمة على العرب، والعرب مقدمـة على الموالى، وهكـذا بـدأ عمر بإعادة النعرة القبليـة والقومية التى قضـى عليها الإسـلام الحنيف من جهة، ومن جهة أخرى ضـمن رجحان كفة القرشيين على غيرهم، حيث كان القرشيون هم امراء الولايات ولهم عائداتها، وهم كذلك قادة الجيوش ولهم الغنائم الكثيرة التى ستحوزها سيوفهم فى الفتوحات.

أمّا المعارضة السياسية المتمثلة بأمير المؤمنين عليه السلام وبنى هاشم فلا يصلهم سوى العطاء الذين لا يُؤمن لهم سوى حياتهم الخاصة، وحتى الخمس الـذى شـرعه الله لهم فى الكتاب العزيز رفض عمر أنْ يسـلمه إليهم ولما طالبوه به اشترط عليهم أنْ يكون الخمس فى يـده يزوج عزابه_م ويعطى محتاجهم وما يفضل من ذلك يبقى فى يـده، فرفض بنو هاشم هـذا التـدخل السافر فى حقوقهم المالية فمنعهم عمر الخمس لأنه كان يخشى إن أعطاهم الخمس وهو ثروة هائلة فإنّ بنى هاشم قد يسعون لإعادة الحكم إلى أمير المؤمنين عليه السلام واسقاط النظام الحاكم بسبب القدرة المالية التى سيوفرها لهم الخمس.

ففى الوقت الذى كانت هناك مصادر متعددة لتنامى ثروات القرشـيين حيث العطاء الواسع وهبات الخليفة والغنائم وإمارة الولايات الغنية، ما كان يصل بنو هاشم

ومن والاهم من المسلمين سوى عطاءهم من بيت المال وهو مهما بلغ لن يكون كافياً فى توفير حاجة التحرك السياسى، ولا عاملاً مساعداً على تثبيت الوضع السياسى وتشييد أركانه.

وعلى الصعيد السياسى كان عمر يتابع باستمرار نشاط أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته على جميع الأصعدة فكان يحاول وضع الخطط الكفيلة بمنع أمير المؤمنين عليه السلام من الوصول إلى الحكم وكان يعلم أن أفضل الطرق لمواجهة أمير المؤمنين عليه السلام تمكين بنى أمية من البلاد وتثبيت موقعهم السياسى.

ولإجل ذلک سافر إلى الشام وبحث مع معاوية السبل الكفيلة بالاستمرار فى إقصاء أمير المؤمنين عليه السلام عن سدة المحكم.

وعلى الرغم من كون عمر متحفظاً من ولاته وكان يتابع تنامى ثرواتهم المالية باستمرار لئلا تشكل الثروة المالية التى يملكونها عاملاً سلبياً فى التأثير على خططه السياسية التى يحاول بها توزيع القوى السياسية بالنحو الذى يؤثر فى تحديد نوع السلطة الحاكمة من بعده.

ولهذا السبب شاطر عماله ما بحوزتهم من أموال واستثنى عاملين من عماله الأول قنفذ العدوى لما له من مكانة خاصة عنده وللدور الآثم الذى قام به إبّان الاعتداء على دار الزهراء عليها السلام والثانى معاوية بن أبى سفيان تثبيتاً للسلطان الأموى وتقوية له(1).

وكان من أهم التدابير التى اتخذها عمر مع معاوية لمنع وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى كرسى الحكم تدبير وصول عثمان إلى مسند الخلافة من بعده، وتأمير معاوية على الشام وعمرو بن العاص على مصر، فإذا قدر لعثمان عدم الوصول إلى سدة

1- كتاب سليم بن قيس ص 224، بحار الأنوار ج 30 ص 303، بيت الأحزان ص 115، 125، النص والإجتهاد ص 361، 373، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج 1ص 296، سير أعلام النبلاء - الذهبى ج 3 ص 133.

الحكم أو اتفق وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى قيادة الدولة كان وجود معاوية فى الشام وعمرو فى مصر وتمكنهما من الثروات المالية الضخمة والطاقة البشرية الهائلة عاملاً مساعداً على سرعة زوال ملک أمير المؤمنين عليه السلام وإعادة الحكم إلى العوائل القرشية وإبعاد بنى هاشم عن السلطة وإلى الأبد.

وفى قبال ذلک كان تأثير عائشة بنت أبى بكر ليس بالقليل على عمر بن الخطاب فطرحت عليه فكرة إيصال طلحة أو الزبير إلى الحكم، وخشية وقوع الصراع بين العوائل القرشية نتيجة الإطروحتين والإطروحات الأُخَر التى كان يطالب بها باقى بطون قريش ومن بينهم بنو هاشم قرر عمر أنْ يقوم بتعيين مجموعة من شخصيات قريش على أنْ ينتخب أولئک المعينون شخصاً من بينهم يسند إليه مسؤولية إدارة الدولة. والشخص يجب ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السلام ولا رجلاً من بنى هاشم مع إشراكهم فى الشورى، لأن عدم إشراكهم فيها سيترک أثراً سلبياً على الصعيد السياسى ويشكل مسوغاً للطعن بنتائج الانتخاب.

وفى سبيل تحقيق هدف عمر اشترط أنْ يعمل الخليفة الذى يأتى بعده بتشريعاته وتشريعات أبى بكر، وكان يريد بهذا الشرط تحقيق هدفين الأول أنْ تكون هذه التشريعات سبباً فى منع وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحكم لأن العمل بها سيكون شرطاً فى عقد البيعة والثانى إنّ هذه التشريعات ستوجد أعداءً ومنافسين لأمير المؤمين عليه السلام يقومون بإرباک دولته لو قدر له الوصول إلى سدة الحكم.

ومن تلک التشريعات التمييز فى العطاء، وتشريع الجماعة فى نوافل شهر رمضان، واعتبار الموالى مواطنين من الدرجة الثانية، ومنع رواية السنة النبوية وتدوينها(1).

1- بحار الأنوار ج31 ص 8، معالم المدرستين ج 3 ص 11، شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد ج 12 ص 283، معانى القرآن - النحاس ج 6 ص 362، البرهان - الزركشى ج 3 ص 313، الصحيح من السيرة ج 2 ص 149.

الشيعة فی مواجهة المخطط

لم يقف الشيعة أمام خطط السلطة مكتوفی الأيدی بل تحركوا بقدر ما يسعهم فی سبيل توفير مقدمات إرساء العدالة فی المجتمع المسلم.

فكانوا علی الصعيد العلمی يتداولون أحاديث النبی صلی الله عليه وآله وسلم وينقلونها إلی الناس بقدر ما تسنح لهم الفرصة ويسمح به الظرف حفاظاً علی تراث النبی صلی الله عليه وآله وسلم من الضياع، بل إنّ الإمام الحسن عليه السلام أمر بنيه وبنی أخوته وبنی عمومته بالانكباب علی العلم، وأصدر أمير المؤمنين عليه السلام أمره إلی مريديه بتدوين العلم(1).

وعلی الصعيد السياسی كان الشيعة يؤكدون علی دور أمير المؤمنين عليه السلام ويدعون المسلمين إلی الوقوف إلی جنبه كلما تمكنوا من ذلک وأهم حادثة تذكر فی هذا الباب مارواه السيوطی عن دعوة شخص لم يذكر اسمه إلی بيعة فلان وإنّه سيبايعه كما بويع أبو بكر.

ومن الواضح إنّ هذا الشخص المدعو إليه كان قرشياً لإنّ عمر عند محاولته التصدی للمشروع لم يحتج بأن الخلافة لا تكون إلاّ فی قريش(2) وكذا فالمدعو إليه من

1- الغارات ج 2ص 718، منية المريد- الشهيد الثانی ص 340، بحار الأنوار ج 2ص 152، سنن الدارمی ج 1ص 130، 138، كتاب العلم ص 34، الحد الفاصل ص 194، 370، الجامع الصغير ج 1ص 129، كنز العمال ج 10ص 257، 261، كشف الخفاء ج 2ص 24، إرغام المبتدع الغبی ص 36، الطبقات الكبری ج 6ص 168، العلل - أحمد بن حنبل ج 1 ص213، 417، التاريخ الكبير ج 8 ص 407، تاريخ بغداد ج 8 ص 352، تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج 13ص 259، ج 46ص 301، تهذيب الكمال ج 6ص 242، تاريخ اليعقوبی ج 2 ص 227:، البداية والنهاية ج 8 ص 45، ترجمة الامام الحسن عليه السلام- ابن عساكر 167، 168، الصحيح من السيرة ج 1ص 183.

2- المسترشد ص 137، الطرائف ص 237، الصوارم المهرقة ص 55، بحار الأنوار ج 30 ص464، ج 49 ص 254، فتح البارى ج 12ص 131، 138، المصنف - الصنعانی ج 5 ص441، السنن الكبری ج 4 ص 274، صحيح ابن حبان ج 2 ص 146، 147، 152، 154، شرح نهج البلاغة ج 2ص 22، 25، تدوين القرآن ص 108، 109، تاريخ مدينة دمشق ج30 ص 280، البداية والنهاية ج 5 ص 265، 266، سيرة النبی صلی الله عليه وآله وسلم ج 4 ص 1071، السيرة النبوية ج 4 ص 486، ص 487.

الأشـخاص الذين يرفض الجهاز الحاكم وصوله إلى الحكم، كما إن الشـخص الداعى لا ريب فى كونه من الشخصيات المهمة بدليل عدم جرأة عبـد الرحمن بن عوف على مواجهته وإسـراعه إلى عمر و إبلاـغه حـديث الرجل وانفعال الأخير وعزمه على إلقاء خطاب فى الحجيج لمنع صاحب المقال وأصـحابه من الوصول إلى أهـدافهم، لكن عبد الرحمن ثنى عمر عن عزمه خشـية اسـتفادة صاحب الدعوة من حديث عمر فى إثبات حق صاحبه، وطلب منه اتخاذ إجراء سريع عند عودته إلى المدينة لتفويت الفرصة عليهم(1).

وبالجمع بين هـذه الحقائق سـنجد أنّ الذى قام بهذه الدعوة شـخص من المسـلمين الأوائل ومن خُلّص أنصار أمير المؤمنين عليه السـلام وهناک تصريح فى بعض الروايات إن الذى قام بهذا العمل عمار بن ياسر رضوان الله عليه.

وهذا دليل آخر على النشاط الشيعى على صعيد المواجهة السياسية أيام عمر بن الخطاب.

وأما على الصـعيد الاقتصادى فالشيعة الذين فرضت عليهم الإقامة الجبرية توجهوا إلى الأعمال الحرة لتقليل آثار الحصار الاقتصادى الذى فرضته عليهم السلطة المركزية وكانوا يعلمون أنّ قريشاً وأغلب العرب لن يكونوا إلى جانب أمير المؤمنين عليه

1- مسند أحمد ج 1ص 55، صحيح البخارى ج 8 ص 25، 26، مجمع الزوائد ج 6 ص 5، مقدمة فتح البارى ص 337.

السلام لذا صبوا أغلب نشاطهم على الموالى والداخلين تواً إلى الإسلام، وهذه النقطة كانت مثار حساسية شديدة عند مركز السلطة لذلک فرضت الإقامة الجبرية على عدد كبير من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ومع ذلک كان فى بعض الأحيان يضطر إلى الاستعانة بأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما حدث مع سلمان الفارسى رضوان الله عليه بعد فتح المدائن، لأن أهلها من الفرس وسلمان رضوان الله عليه هو الأقدر على التفاهم والتعامل معهم، فنصبه عمر والياً على المدائن، ومن بعده نصب حذيفة بن اليمان رضوان الله عليه، والسبب الثانى الذى دعا عمر إلى نصب هذين الرجلين الجليلين على المدائن كون المدائن ليست ذات تأثير كبير لضعف حاميتها العسكرية وقلة مواردها المالية، والمرة الثانية التى اضطر معها عمر إلى الاستعانة بأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نصبه لعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهما عمالاً على الكوفة الأول والياً عليها والثانى خازناً لبيت مالها، والسبب فى ذلک أنّ أهل الكوفة شكوا أبا موسى الأشعرى، لأنه كان يتاجر بكلائهم وشكوا سعد بن أبى وقاص لأنه لم يكن يحسن الصلاة !!! فأراد عمر أن يرسل إلى الكوفة رجالاً لا تُوجه إليهم تهمة التلاعب بالأموال العامة ولا الجهل بأحكام الشريعة بهذا النحو الواضح، فلم يكن عنده إلاّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فأرسل إليهم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهما.

وبالإضافة إلى العمل الإدارى الموكّل إليهما كان عبد الله بن مسعود رضوان الله عليه يعلم الناس القرآن بطريقة لم تثر حفيظة عمر بن الخطاب، أمّا عمار بن ياسر رضوان الله عليه فكان يدعو الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام مما دفع أتباع الجهاز الحاكم إلى إبلاغ عمر بنشاط عمار رضوان الله عليه فعزله عمر عن ولاية الكوفة بعد أشهر من نصبه.

الشورى العمرية

أمضى عمر فى الحكم زهاء عشر سنوات أشرنا فيما تقدم إلى جملة من مخططاته لمصير الخلافة من بعده،وكان أهم ما يواجهه هو كيفية وصول البيوتات القرشية إلى الحكم مع الأخذ بعين الاعتبار منع وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى قيادة الدولة.

كان عمر يواجه ضغوطاً يفرضها عليه الواقع الموضوعى بسب نشاطات القرشيين ومدى تأثيرها فى نفسه.

كان عمر لا يريد القيام بعملية التنصيص والإيصاء المباشر لش_خص معين من قريش، لس_ببين الأول المطامع القرشية ورغبة جميع العوائل فى الاشتراك فى الحكم، والثانى وهو الأهم المفاجأة التى قام شيعة أمير المؤمنين عليه السلام والتى جوبه بها فى موسم الحج حيث كانوا يدعون الناس لامير المؤمنين عليه السلام ويبشرون بالعهد العلوى ويؤكدون حق أمير المؤمنى_ن عليه السلام فى إدارة الحكم، كان الشيعة يقومون بذلک معرِّضين أنفسهم للأخطار إذ يعلمون مدى حساسية السلطة.

فمع هذه الظروف أدرک عمر أنّ عملية الإيصاء المباشر من شأنها أنْ تصب على الأمد البعيد فى صالح أمير المؤمنين عليه السلام ذلک لأن العوائل القرشية أصبحت جميعاً تطمح للحكم وإدارة البلاد وهذا يعنى أنها ستتنازع فيما بينها وتفقد موقفها الموحد ضد بنى هاشم، فى الوقت الذى يعمل الشيعة ليلاً ونهاراً لإعادة الحق إلى أهله غير طامعين بشىء إلاّ رضا الله تعالى وأداء تكاليفهم الشرعية تجاه أهل بيت نبيهم عليهم السلام فاختار عمر طريقة جديدة يضمن معها وصول العوائل القرشية إلى الحكم واحدة تلو الأخرى مع منع وصول أمير المؤمنين عليه السلام وبنى هاشم إلى السلطة، بالإضافة إلى ضمان الموقف الموحد لقريش، وهذا المنهج الجديد هو الشورى التى سيخطط فيها لوصول عثمان إلى الحكم شريطة أنْ يكون الأمر من بعده لعبد الرحمن بن عوف.

لم تمض الأيـام طويلاً حتى اغتيـل عمر فى مؤامرة دبرهـا الطامعون ولعل الـذى دعاهم للاسـراع ما لا حظوه من قوة النشـاط الشـيعى، وخوفهم من تمكن الشيعة من الوصول إلى غاياتهم، ذلک لأنهم يعدّون موقف عمر غير كفيل على الأمد البعيد فى ضمان مصالحهم ولعل الدور الأموى فى المؤامرة كان كبيراً، ونشاط عثمان الداعى إلى تسليط بنى أمية وتحويل الخلافة إلى حكم عائلى وراثى يؤيد ذلک، كما إنه ليس من البعيد اشتراک المغيرة بن شـعبة فى هذه المؤامرة، فالغلام الذى اغتال عمر كان غلامه، وما يدعيه القوم فى كون السـبب الذى دعا أبو لؤلؤة لاغتيال عمر عدم إنصاف الأخير للغلام من جشع المغيرة مدعاة للضحک فالأولى للغلام فـى مثل هذه الحالة الهرب من مولاه أو قتل مولاه لا قتل الخليفة الذى لم يأخذ منه شـيئاً، ولا يبعد اطلاع كعب الأحبار على المؤامرة ومحاولته صرف أنظار الخليفة عن البحث وراء السبب الحقيقى لاغتياله بدعوى أنه يرى أنّ التوراة تدل على شهادة عمر !!!(1)

وما إن اصـيب عمر وأيقن بالموت حتى وضع الخطة التى أمضـى فى رسـمها وقتاً طويلاً موضع التنفيذ، فهو لضمان موقف عائشة وبنى تيم وآل العوام أشـرک طلحة والزبير فى الشورى ولإسـكات بنى هاشم والأنصار والشـيعة أشـرک أمير المؤمنين عليه السلام فيها. وللوصول إلى غايته الحقيقية من الشورى أشرک عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص الزهريين وعثمان بن عفان الأموى.

إنّ اختيار هـذه الشخصـيات دليل على حنكة عمر السياسـية، فعائشة لو لم يكن ابن عمها وزوج أختها شـريكين فى الشورى لعملت ما فى وسـعها لإفشال المخطط الـذى رسـمته السـلطة، وعمر يدرک تأثير عائشة السياسـى فلم يغب عن فكره دورها الكبير فى مدّة الصـراع على الخلافة بعد إبان وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، واختيار شخصيتين من بنى

1- نسخة وكيع- وكيع بن الجراح ص 96، أضواء على السنة المحمدية ص 153، تاريخ مدينة دمشق ج 44 ص 403.

زهرة كان لضـمان وصول عثمان إلى الحكم، لأنه يعلم أنّ عبد الرحمن سيمنح صوته لعثمان ـ ولى ـس من البعيد إنّ ذلک كان بتوصية منه ـ وإدخال سعد فى الشورى كان لضمان التكافؤ فى الأصوات لأن صوت سعد سيكون مع صوت عبد الرحمن، ولو أراد إدخال غير سعد لم يضمن التكافؤ، ولم يكن إدخال سعد لمنحه الخلافة حقيقة إذ سبق له أنْ عجز عن إدارة ولاية واحدة من ولايات البلاد فكيف بالبلاد كلها.

وأصدر عمر قرارته وتوصياته للمنتخبين التى تصب نتيجتها فى صالح عثمان بن عفان، وكانت قررات عمر تنص على:

1 ـ يشترط على الخليفة المنتخب العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة أبى بكر وعمر.

2 ـ لا يحق للخليفة المنتخب تغيير عمال عمر على الأمصار إلاّ بعد مضى سنتين من حكمه.

3 ـ قانون الانتخاب:

أ ـ يجب انتخاب الخليفة فى ثلاثة أيام وبخلافه تضرب أعناق المجتمعين.

ب ـ لو اختلف المنتخبون فالخليفة هو الذى يحوز أكثر الآراء ورأيهم ملزم للآخرين ومن يعترض من المنتخبين تضرب عنقه.

جـ ـ لو رضى بعض ببعض وتساوت الأصوات فالخليفة فى الجماعة التى فيها عبد الرحمن بن عوف.

د ـ على السـتة المجتمعين الرجوع فى المشورة إلى عبد الله بن عمر، الذى كان عيناً لأبيه على مسار الأحداث لضـمان سيرها ضمن الدائرة التى رسمها عمر.

4 ـ قطع اتصالات المجتمعين بالناس طيلة مدّة المباحثات لتعيين الخليفة.

وبهـذا كـانت الشورى العمريـة تعيين غير مباشـر من عمر لعثمان بن عفان، وفى الوقت نفسه كانت إجراءاً وقائياً لمنع وصول أمير المؤمنين عليه السلام إلى كرسى

الحكم، ذلک لأن وجـود عبد الرحمن وسعد إنما كان لضمان التكافؤ فی الأصوات إن لم تكن الأغلبية لصالح عثمان، وعلی فرض تساوی الأصوات فإن أمير المؤمنين عليه السلام لن يقبل بالشرط وهو العمل بسيرة أبی بكر وعمر.

ولو فرض المحال وقبل أمير المؤمنين عليه السـلام بالشـرط فإن ابقاء عمال عمر لسـنتين فی اعمالهم يعنی القيام بثورة ضده واسقاط حكمه فی اسرع وقت، هذا بالإضافة إلی منح عبد الرحمن بن عوف حق تعيين الخليفة والذی من المقطوع به ان سيختار عثمان بن عفان.

كان أمير المؤمنين عليه السـلام يدرک الأسـباب الحقيقية لوضع هذه الشروط، وكان يعلم منذ البدء أنّ عمر وقريشاً ـــ بنحو عام ـــ ما دام خيار تعيين الخليفـة فی يـدها فلن تصل النوبـة إلی بنی هاشم، ولـذلک لما سأله العباس بن عبد المطلب عن مسـتقبل الخلافة أخبره بأنها زويت عن بنی هاشم عن طريق توزيع النسبة فی الأصوات والشروط التی شرطها عمر.

وفی هـذه المـدّة حاول الشـيعة جهدهم فی تغيير الأوضاع لصالح أمير المؤمنين عليه السـلام فكانوا يعقـدون الحلقات فی مسـجد النبی صلی الله عليه وآله وسـلم ويبينون خصائص أمير المؤمنين عليه السلام وحاول عمار رضوان الله عليه إلقاء خطاب فی المجتمعين يدعوهم فيه لانتخاب أمير المؤمنين عليه السلام.

فی المقابل كان بنو أمية ـ وخاصة مروان بن الحكم ـ يحاولون الوقوف فی وجه شيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومنعهم من إيصال صوتهم إلی أفراد الأمة وجموعها فحصـلت مشادات كثيرة وتهديدات بين المقداد وعمار وبنی هاشم والشـيعة من جهة ومروان وابن أبی سرح وبنی أمية وقريش من جهة أخری.

ولكن تلک المحاولات المخلصة من الشـيعة لم تثمر فی ثنی المتواطئين عن المضـی فی مخططهم، فبعد أن تساوت الأصوات حيث منح الزبير وطلحة صوتيهما لأمير المؤمنين

علیه السلام بینما منح عبد الرحمن بن عوف وسعد صوتیهما لعثمان، خرج عبد الرحمن من الدار التی عقد فیه_ا المجلس الاستشاری لاستطلاع الرأی العام فی محاولة منه لإیهام الناس أن الرأی فی الاختیار سیکون رأی الأمة لا رأیه محضاً، وبعد أنْ أنبأ الناس أنّ آراء المجتمعین انحصرت فی أمیر المؤمنین علیه السلام وعثمان وسأل الناس عن رأیهم فی انتخاب أیّ الرجلین، کان رأی القرشیین _ عدا بنی هاشم _ لصالح عثمان أمّا رأی بنی هاشم وسائر أهل المدینة من غیر القرشیین لصالح أمیر المؤمنین علیه السلام.

أدرک عبد الرحمن بعد الإستطلاع خطورة الموقف وضرورة الإسراع بالعمل بشکل لا یثیر حفیظة الناس، فخرج بالمجتمعین إلی منبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم وإلی جانبیه أمیر المؤمنین علیه السلام وعثمان وعرض علی أمیر المؤمنین علیه السلام القیام بأعباء الخلافة بشرط العمل بالکتاب والسنة وسیرة أبی بکر وعمر، فرفض علیه السلام العمل بسیرة الرجلین واشترط علی نفسه العمل بالکتاب والسنة، فلم یرض منه عبد الرحمن ذلک، ثم عرض علی عثمان القیام بأعباء الخلافة بالشرط المتقدم فأجابه إلی ذلک فبایع عبد الرحمن عثمان وبایعته الناس ورفض أمیر المؤمنین علیه السلام البیعة فهددوه بالقتل فلم یعبأ بهم، وادعی بعض المؤرخین أنّ أمیر المؤمنین علیه السلام بایع نتیجة التهدید ولکن هذا باطل قطعاً وإلاّ فإنّ التهدید کان أکثر جدیة وصراحة وامیر المؤمنین علیه السلام أقل عدداً وناصراً فی أیام أبی بکر ومع ذلک لم یبایع فکیف یبایع لأجل التهدید مع أنّ له من المریدین ما یکفی لدفع غائلة القوم عنه(1).

1- شرح أصول الکافی ج 21ص 412، کتاب سلیم بن قیس ص 241، الإیضاح ص 134، 138، المسترشد ص 244، الطرائف ص 237، 240، بحار الأنوارج 28ص 338، 383، ج 31 ص77، 385، 396، الغدیر ج 5ص 360، ج 10ص 26، شرح نهج البلاغة ج 1ص 185، 190، ج 9ص 49، ج 10ص 245، تاریخ المدینة ج 3ص 925، تاریخ الطبری ج 3ص 292، تاریخ ابن خلدون ج 3ص 171، الإمامة والسیاسة ج 1ص 42.

الفصل الرابع: الأوضاع السياسية أيام عثمان بن عفان

اشارة

تولى عثمان الحكم بتخطيط من عمر وعبد الرحمن بن عوف، والتزم فى السنتين الأولتين من حكمه بشرط عمر بن الخطاب، فأبقى عمال عمر فى مناصبهم، وبعد مضى السنتين ظهرت فى الأفق منهجية عثمان وخطته السياسية، كان عثمان يميل إلى جعل الحكم عائلياً، وكان الأمويون يعدّون الحكم فرصة ذهبية للاستفادة قدر الإمكان من القدرات التى يوفرها الموقع الرسمى فى الدولة لبناء المجد الأموى فى ظل الدولة التى بنيت بجهاد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وجهوده وأهل بيته والخلص من أصحابه.

وكان لابد لترسيخ الحكم العائلى من تشديد القبضة الأموية على مواقع القدرة فى الدولة، العسكرية والاقتصادية والإعلامية والتشريعية، وفى سبيل تحقيق هذا الغرض تسلط بنو أمية على مرافق الدولة المهمة كافة، فكان كل ولاة الأمصار المهمة من بنى أمية إلاّ فى بعض الفترات التى اضطر فيها عثمان لتولية أبى موسى الأشعرى البصرة أو الكوفة بسبب عجز بنى أمية عن إدارة هذين المصرين.

وإدارة الولايات تعنى السيطرة على مواردها الاقتصادية ومتابعة التحركات السياسية فيها ومراقبة الشخصيات ذات التأثير السلبى على الحكم الأموى بالإضافة إلى تحديد قادة الجيوش والسيطرة على الأمن الداخلى للولاية، ورسم المنهجية المناسبة لضمان عدم تشكيل الولايات خطراً على مستقبل السلطة الأموية.

وعلى الصعيد الاقتصادى ركّز عثمان منهجية عمر فى التمييز فى العطاء، وزاد على ذلك الهِبات والأعطيات التى كان يمنحها من الأموال العامة لبنى أمية. كما قام

عثمان بمحاولة تأسيس الحصانة القضائية له ولعماله على الولايات.

وعلى الصعيد الإعلامى والبناء الثقافى للجيل المسلم ركز على منهجية عمر فى إيكال أمر التثقيف إلى مسلمة أهل الكتاب الذين حرفوا أذهان الجيل المسلم عن الواقع الإسلامى، وفى المقابل أعاد إلى الوسط الإعلامى شعراء البلاط فكان يهب العطايا الجزيلة لمن يمتدحه، وهو أمر حاربه الإسلام بشدة.

أحس الطامعون بالسلطة ممن أشرك فى الشورى العمرية أو كان له دور فى تأسيسها بخطورة المنهج الجديد على مستقبلهم السياسى.

وعلى الرغم من تقرب عثمان إليهم بالهبات والأعطيات، إلاّ أنّ اختصاص إدارة البلاد ببنى أمية كان مثاراً لقلقه_م، فكانت خطوات عثمان الرامية إلى تمكين بنى أمية من البلاد عاملاً أسياسياً فى نقمة هؤلاء وأصحابهم عليه.

وأضيف إلى الناقمين من ولاة عمر الذين عزلهم عثمان عن أعمالهم وأوكلها إلى بنى أمية وعلى رأسهم عمرو بن العاص. فهذا هو الاتجاه الأول الذى كان يعارض عثمان بن عفان.

والإتجاه الثانى كان يتمثل بدعاة إقامة العدل وإعادة الحقوق إلى أهلها وهم أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته.

استمر عثمان فى خطته الرامية إلى تسليط بنى أمية على المرافق المهمة فى الدولة، وكانت العائدات المالية الضخمة تغرق خزانة الدولة، وعثمان يغدق بالهبات على بنى أمية والمقربين منه، وهى تزيد أضعافاً مضاعفة على ما يوزع من العطاء.

أدّى هذا النحو من البذل غير المتزن إلى ظهور الطبقية بشكل واضح، وغدا أبناء البيوتات يعيشون حياة مترفة واتخذوا القصور والعبى_د بحيث أصبح كل واحد يعيش كما يعيش أمراء الأكاسرة و القياصرة، وكان بنو أمية أكثر الناس ترفاً، حيث كانت

أعطيـات عثمـان لهم تجعلهم يتحيرون فى كيفيـة التصـرف بالأـموال فعـادوا إلى حياة الترف التى كانوا يعيشونها أيام الجاهليـة من دون أن يأخـذوا أىّ شـىء فى نظر الاعتبار، فكانوا يعيشون فى القصور الشاهقـة ويلبسون الثياب الفاخرة ويتعالون على الناس ويعدّون الناس خدماً وأتباعاً لهم ويهبون الأعطيات الجزيلـة للشـعراء، مما ولد صدمة كبيرة للمجتمع الذى عاش ما يقارب أربعاً وعشـرين سـنة من البساطة فى الملبس والمأكل والمسـكن، فالنبى صـلى الله عليه وآله وسلم لم يسكن إلاّ فى البيوت المتواضعة ولم يأكل إلاّ أبسط الطعام ولم يلبس إلاّ الثياب المتواضـعة، بل كان لا يكاد يتميز من المظهر بشـىء عن سائر المسـلمين، كما أنّ أبا بكر وعمر لم يظهرا حياة الترف والبـذخ بالنحو الـذى كان يقوم به عثمان، وحتى الأعطيات التى كان يخص الرجلان بها قومهما من تيم وعدى لم تكن بالنحو الذى قام به عثمان تجاه بنى امية.

ومما زاد فى النقمة الجماهيرية محاولة عثمان منح أقاربه حصانة قانونية وقضائية، فكان يوقع العقوبة فى كل شـخص يأتية متظلماً من عماله، وكـذلك محاولته إبطال الحـدود إذا كان يراد إيقاعها على مـذنب من الأمويين، كما حصل مع الوليـد عندما شـرب الخمر وصـلى بالناس سكراناً أيام ولايته الكوفة.

وهكذا واجه عثمان تيارين من الناقمين:

1ـ تيار الطامعين فى الحكم وعلى رأسـهم عائشة بنت أبى بكر وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف الذى مات مخاصـماً لعثمان لا يكلم أحدهما الآخر، بالإضافة إلى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأشباههما.

2ـ المصـلحون وعلى رأسـهم المقـداد بن الأسود وعمار بن ياسـر وأبو ذر الغفارى وعـدد كبير من الأنصار فى المدينة ومحمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة فى مصر ومالك الأشتر وعبد الله بن مسعود فى الكوفة وعثمان بن حنيف فى البصرة.

تطور الأزمات السياسية

شهد عصرعثمان انفراجاً نسبياً تجاه الصحابة حيث رفعت عنهم الإقامة الجبرية التى فرضها عمر، وأصبح فى وسعهم التحرك هناوهناك فى بلاد المسلمين والمشاركة فى الغزوات، فتوجه عمار بن ياسر ومحمد بن أبى بكر رضوان الله عليهما إلى مصر ومارسا بالإضافة إلى محمد بن أبى حذيفة رضوان الله عليه هناك نشاطهم التبليغى فى الدعوة إلى أمير المؤمنين عليه السلام وبيان خصائصه وفضائله فى الوقت الذى كانوا يُعرِّضون بإنحراف الولاة بالظلم الذى كانوا يوقعونه بالعباد وفساد الإدارة الذى تعيشه البلاد.

بدأ هذا النشاط التبليغى يؤثر فى الجماهير المصرية حيث تحول المجتمع المصرى إلى مؤيد للإصلاح أو ناقم على الوضع القائم أو ساكت لا إلى هذا ولا إلى ذاک ولم يبق مؤيداً للسلطة القرشية سوى فئة من القرشيين سكنت خربتا وكان لها دور سلبى تجاه حكم أمير المؤمنين عليه السلام.

شعر عمال بنى أمية بخطورة عمار ومحمد رضوان الله عليهما على مستقبلهم السياسى لو لم يحدوا من تحركهما مما دفعهم فى إحدى الغزوات إلى حملهم فى سفينة فيها نصارى لئلا يؤثر نشاطهما التبليغى فى مقاتلة المسلمين، وعلى الرغم من محاولة عمال بنى أمية الحد من تأثير عمار ومحمد رضوان الله عليه_ما إلاّ أنهم كانوا بحاج_ة إلى وجودهما بين المقاتلة لتهدئة الأوضاع، بل روى أنّ عثمان هو الذى بع_ث عماراً إلى مصر لغ_رض الوقوف على حقيقة شكاوى الناس من عماله.

وفى الكوفة كان عبد الله بن مسعود رضوان الله عليه يعلّم الناس القرآن ويبين لهم الأحكام وكان يشير إلى فضائل أمير المؤمنين عليه السلام عند وجود مناسبة لذلک فى أسباب النزول أو الأحداث التى تتعلق به، وكان إلى جنبه فى ذلک جملة من شيعة أمير

المؤمنين عليه السلام من ربيعة وهمدان الذين هاجروا إلى الكوفة أيّام الفتوحات وعلى رأسهم مالک بن الحرث النخعی رضوان الله عليه، وكان للشيعة دور كبير فی المطالبة بإقامة العدل والحد من جور الولاة واستهتارهم، وهم الذين أخذوا الخاتم من يد الوليد وهو يصلی سكراناً فی مسجد الكوفة وطالبوا بعزله، وهم الذين وقفوا فی وجه سعيد بن العاص وطالبوا بعزله وبعد إن أعاده عثمان إليهم منعوه من دخول الكوفة ففوتوا بذلک عليه محاولة إذلال المسلمين والتلاعب بدمائهم، فعاد أدراجه إلى عثمان، كما حصل مع صاحبه عبد الله بن سعد فی مصر.

وفی المدينة المنورة كان أبو ذر والمقداد وعمار لا يألون جهداً فی محاولة الحد من إنحرافات السلطة على مختلف الأصعدة.

وفی عهد عثمان جرت مشادات ونزاعات كثيرة بين أمير المؤمنين عليه السلام وعثمان حتى كاد القتال أنْ يقع بينهما مرات متعددة إلاّ أنّ عثمان كان ينسحب خوفاً من عواقب الأمور.

سياسة العائلة الاموية فی مواجهة المعارضين

كانت العائلة الأموية التی تسلطت على مقادير السلطة أيّام عثمان تقسم المعارضين إلى:

1 ـ الطامعين بالحكم وهم الذين لم يعرّضوا بسياسة عثمان فی التصرف غير المحدود فی الأموال العامة وإن كانوا يعترضون على تخصيص بنی أمية بالهبات والأعطيات غير المحدودة، وعلى تسليط بنی أمية على رقاب المسلمين، ونحوها من الاعتراضات التی ما كانت لتضر بهم لو تصدوا للحكم، وكان أولئک لا يشكلون معارضة ذات خطر حقيقی بسبب قلة أتباعهم وسهولة القضاء عليهم وسهولة شراء مواقفهم بالمال.

ولعله لهذا السبب لم يذكر التاريخ أنّ رجالات الأمويين وقفوا فى وجوههم أو اتخذوا موقفاً حدياً تجاههم.

2 _ المطالبون بالإصلاحات وهم على قسمين:

أ _ المطالبون بالإصلاحات الجزئية بالقدر الذى يرفع الحيف والظلم الذى أوقعه بهم الولاة وهم القطاع العام من المصريين والبصريين والكوفيين. وكانت يتعرضون دائماً لتهديد السلطة ووعيدها ومختلف ألوان العقوبات. مما دفعهم بعد ذلك إلى حصر عثمان وقتله نتيجة لتلاعب مروان بن الحكم وهو الشخص الثانى فى بلاط عثمان بن عفان بمصيرهم وسعيه للقضاء عليهم.

ب _ الذين كانوا يسعون إلى إحداث إصلاح جذرى فى البلاد عن طريق الدعوة والعمل على تنصيب حكومة صالحة يقودها المعصوم عليه السلام لأنهم أدركوا أنّ صلاح أحوال الأمة فى شؤون دينها ودنياها يعتمد بدرجة كبيرة على الإمام الذى تتبعه الأمة، وهؤلاء هم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وعلى رأسهم أبو ذر والمقداد وعمار ومحمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة ومالك الأشتر وعبد الله بن مسعود وقيس بن سعد بن عبادة وعثمان بن حنيف وأخيه سهل وحجر بن عدى وعدى بن حاتم الطائى رضوان الله عليهم.

كانت مواجهة عثمان الشديدة موجهة للشيعة لأنه يعدّهم أهم الأخطار التى تواجه ملكه ومستقبل العائلة الأموية، إذ ليسوا هم من الفئة ذات الأطماع والمصالح التى يمكن إسكاتها بالأموال والهبات والتلويح بالعصا، وليسوا من الفئة ذات المنظار الشخصى فى طلب الإصلاحات كى يستطيع إسكاتهم بالإيذاء أو تغيير الولاة، بل هم أصحاب مبادئ وعقيدة يستمدون قوتهم وصلابتهم من القرآن الكريم والسنة المطهرة وحكمة زعيمهم وزهده وورعه وتقواه وعلمه.

فلم يستطع عثمان صبراً على تعريض أبى ذر رضوان الله عليه به وبسياسته المنحرفة وبالجور والظلم الذى يرتكبه عماله فى مختلف بقاع البلاد، وحياته الباذخة و إيوائه طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتخ_اذه وزيراً له فنفاه عثمان إلى الشام.

ولم يكن منهج معاوية بأقل انحرافاً فأقام أبو ذر الدنيا وأقعدها على معاوية الذى حاول إغراءه بالمال، فما زاد ذلک أبا ذر إلاّ شدة فكتب معاوية إلى عثمان يطلب منه أن يخرج أبا ذر عن الشام لأنه سيفسد أهلها عليه، فأمر عثمان بإعادته إلى المدينة بصورة مهينة فودعته جموع الشام باكية.

ووصل أبو ذر المدينة فلم يكف عن التعريض بالظلم والظالمين فنفاه عثمان إلى الربذة، ولم يكتف بذلک بل أصدر امراً بأنْ لا يشيعه أحد من الناس، إهانة له وحطاً من قدره وهو الذى روت الأمة عن نبيها صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الجنة تشتاق إليه.

وأثار عثمان بشدة مواقف عمار رضوان الله عليه(1)الجريئة فى مواجهة إنحراف سياسة الدولة عن منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزاد فى حنقه صلاته على المقداد وابن مسعود سراً ولم يخبر عثمان بهما مما كان يش_كل تحدياً وتعريضاً صريحاً به، والذى أفقد عثمان توازنه الجرأة المنقطعة النظير التى واجهه بها عمار رضوان الله عليه فى مجلسه الخاص وفى المسجد النبوى مما دفع عثمان إلى ضربه حتى فتق وأغشى عليه ولم ينقذه الا تدخل السيدة أم سلمة رضوان الله عليها. وأراد عثمان نفى عمار رضوان الله عليه إلى الربذة فلما علم بنو مخزوم بذلک تحصنوا مع عمار رضوان الله

1- - خلاصة عبقات الأنوار - السيد حامد النقوى ج 3ص 21، 80، الغدير ج 9ص 5، 19، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج 1ص 117، 134، تاريخ بغداد ج 1ص 160، تاريخ مدينة دمشق ج 33 ص 55، 191، أسد الغابة ج 3ص 260، الإمامة والسياسة.

علیه فی دار السیدة أم سلمة رضوان الله علیها لأن عمار وأباه رضوان الله علیهما حلیفان لهم فی الجاهلیة وأرسلوا إلی أمیر المؤمنین علیه السلام یطلبون منه التدخل فی منع عثمان من نفیه.

فذهب علیه السلام وندد بسیاسته تجاه خلص أصحاب النبی صلی الله علیه وآله وسلم، وخشی عثمان المضی فی ما قرره تجاه عمار رضوان الله علیه لئلا یضم بنو مخزوم صوتهم إلی أمیر المؤمنین علیه السلام مما یشکل خرقاً فی وحدة الموقف القرشی تجاه بنی هاشم مما یشکل تهدیداً للمستقبل الأموی فانثنی عن قراره فی نفی عمار رضوان الله علیه(1).

وأمّا عبد الله بن مسعود فإنّه کان یندد بسیاسة الولید الفاسق عامل عثمان علی الکوفة وتلاعبه بالأموال العامة، وکان یزرع فی قلوب الأمة الحب والولاء لأمیر المؤمنین علیه السلام عن طریق ما یذکره لهم فی درسه القرآنی من خصوصیات أمیر المؤمنین علیه السلام، وکان قد جعل فی حاشیة مصحفه الأحادیث والروایات الدالة علی أسباب النزول وفیمن نزلت، ولما کان هناک جملة من الأحداث التی کان القرآن الکریم یعرض فیها ببنی أمیة، فکان یحدث الناس بها ویشیر إلیها، فکان بهذه الطریقة یبذر فی القلوب محبة أمیر المؤمنین علیه السلام ومن جهة أخری ینفر الناس من بنی أمیة. وکان للمنهج التعلیمی الذی قام به ابن مسعود وأبی بن کعب باعثاً لعثمان للقیام بالعملیة التی عرفت بعد ذلک بتوحید المصاحف التی قام عثمان فیها بجمع مصاحف الصحابة التی کتب بعضها علی عهد النبی صلی الله علیه وآله وسلم ولم تکن الغایة الوحیدة جمع الناس علی مصحف واحد کما هوالمدعی، إذا أنّ مصاحف الأمصار کان فیها بعض الاختلاف، وکان یمکن توحید المصاحف بلا إحراق لما دون منها کما فعل مع مصحف

1- الغدیر ج 9 ص 18، نهج السعادة ج 1ص 161، أحادیث أم المؤمنین عائشة ج1 ص 132، مواقف الشیعة ج 2 ص 409، الفوائد الرجالیة - السید بحر العلوم ج 2ص 158.

حفصـة الذى جمع على عهد أبى بكر حيث أعاده لها بعد الفراغ منه، أمّا بقية المصاحف فقام بإحراقها، وعلم ابن مسـعود بالمراد فقرر أنْ لا يسلم مصحفه لعثمان فهو قد قرأه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحق لأحد سلبه منه وهو تراث الأمة لما فيه من مرويات عن النبى صـلى الله عليه وآله وسلم توضح الكثير مما قد يخفى على الأمة، كما أنّ هذا التراث المكتوب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يحق لأى شـخص أنْ يسـلبه منها تمريراً لغاياته كما حصل مع الروايات المدونة على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم التى أحرقت فى العهود المتقدمة.وازدادت الأمور تعقيداً بعد أنْ أبلغت السـلطة ابن مسـعود بضـرورة تسـليم مصـحفه إليها فأبى أن يقوم بذلک، فأمر عثمان بتسفيره إلى المدينة.

ولما أصـرّ ابن مسـعود على رفض تسـليم المصـحف أمر عثمان بعض عبيـده بإخراج ابن مسـعود من المجلس مهاناً فرفعه العبـد وجلد به الأرض حتى تداخلت أضلاعه وامر عثمان بقطع رزقه من بيت المال ولم تمض عليه(1) مدّة حتى وافاه الأجل متأثراً بجراحه.

أمّا مالک وأصـحابه فكانوا ينددون بسـياسة الدولة المركزية وسـياسة العمال فشكاهم سعيد بن العاص عامل الكوفة إلى عثمان فأمره الأخير بنفيهم إلى الشام وهناک أخـذوا يحدثون الناس عن الإنحراف فى سـياسة معاوية فطلب الأخير من عثمان إخراجهم من الشام(2) فأعادهم إلى الكوفة فعادوا أشد مما كانوا فكتب إليه سعيد مرة

1- مستدرک الوسائل ج 4ص 204ح4497 / 2، الصراط المستقيم - على بن يونس العاملى ج3 ص238، 239، خلاصة عبقات الأنوار ج3 ص 79، 80، الغدير ج9 ص4، 6، السيرة الحلبية ج2 ص87، شـرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد ج3 ص41، مراصد الاطلاع ج2 ص911، تفسير مجمع البيان ج 9ص 354، تاريخ المدينة - ابن شبة النميرى ج3 ص1051.

2- الغدير ج 9 ص 31، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج 1 ص 304، مواقف الشيعة ج 2ص 227، شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد ج 2ص 129، ج 3ص 21، الطبقات الكبرى ج 5 ص32، 33، تاريخ مدينة دمشق ج 21ص 115، تاريخ الطبرى ج 3ص 365، تاريخ ابن خلدون ق2 ج 2 ص 140.

أخرى فأمر بنفيهم إلى قنسرين حيث عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الذى أساء إليهم كثيراً فقرروا التمرد على أوامر عثمان وتركوا حمص وعادوا إلى الكوفة، وأخذوا يؤلبون الناس على سعيد بن العاص.

كان لمروان بن الحكم دور كبير فى تحديد سياسات الدولة أيّام عثمان وكان يحاول بهذا النهج تربية الأمة على قبول بنى أمية حكاماً دائميين للبلاد.

القضاء على عثمان

لم يعد المجتمع الكوفى والبصرى والمصرى قادراً على تحمل ولاة عثمان فقرر زعماء تلك البلاد التوجه إلى المدينة والضغط على عثمان لتغيير الولاة.

فخرج الأشتر وعددٌ كبيرٌ من أهل الكوفة، وعثمان بن حنيف الأنصارى بجماعة كبيرة من أهل البصرة، وتوجه عدد كبيرمن المصريين مع محمد بن أبى بكر إلى المدينة.

لم تكن مطاليب الناس سوى تغيير الولاة الذين أفسدوا البلاد وأضروا بالعباد وعدم الاقتصار فى إرسال القوات الفاتحة على الموالين لبنى أمية.

وعلى الرغم من أحقية هذه الطلبات إلاّ أنّ عثمان لم يستجب لهم وأرسل إلى معاوية بن أبى سفيان وسعيد بن العاص وعبد الله بن سعد وعبد الله بن عامر وعمرو بن العاص يستشيرهم فى الأمر خصوصاً وإنّ الحالة القائمة أصبحت تشكل تهديداً جدياً فكانت اقتراحات المستشارين:

1 ـ قتل رؤوس المعارضة والتنكيل بالأتباع وممارسة سياسة التجويع والإرهاب الأمنى.

2 ـ شغل المعارضة بالحروب، عن طريق بعثهم فى الفتوحات المتتالية وعدم منحهم إلاّ أقل القليل من المكاسب التى تحوزها سيوفهم، فمنهم من ستأكله الحرب ومنهم من ستشغله نفسه عن سياسة الدولة.

3ـ اعتزال عثمان للحكم، وهذا الرأى طرحه عمرو بن العاص الذى كان غاضباً من عثمان بسبب عزله عن مصر التى كان عاملاً عليها أيام عمر بن الخطاب.

واتفق رأيهم فى النهاية على أنْ يقوم كل والٍ بتدبير ولايته بالكيفية التى يراها مناسبة.

علم معاوية أنّ هذا القرار من شأنه أنْ يقضى على عثمان بسرعة خاصة والمعارضة ما يزالون على حدود المدينة فأشار على عثمان أنْ يغادر إلى الشام وكان بذلک يريد ضمان أمرين:

الأول:عدم تمكن المعارضة من الوصول إلى مرادها بسرعة.

الثانى: ضمان إيصاء عثمان له بالأمر من بعده لأن مروان بن الحكم كان منافساً لمعاوية وهو أقرب إلى عثمان نسباً من معاوية بالإضافة إلى كونه صهره.

والظاهر أنّ مروان خشى من مشروع معاوية فى السيطرة على الأوضاع كما أنّ عثمان خشى من انتشار الثورة فى باقى ربوع الدولة لو خرج من المدينة، وربما خلع الناس عثمان، فقرر عثمان البقاء على أنْ يرسل إليه معاوية حامية من أهل الشام ترد عنه ما يمكن أنْ يتعرض له من أخطار.

أدرک معاوية أنّ الأحداث تشير إلى نهاية عثمان القريبة فأضمر فى دخيلة نفسه عدم إرسال القوة التى وعده بها.لأن هذه القوة قد يقضى عليها فى المدينة مع أنّه بحاجة إليها فى تدبير أمور ملكه، وهو بدلاً من الدفاع عن عثمان عليه أن يوظف دمه للوصول إلى أهدافه.

وعلم ممثلو الولايـات أنّ عثمان أعاد الولاة عليهم فسارع الكوفيون إلى صـد سـعيد بن العاص من دخول البلـدة وتنازع أهل الكوفـة فى من يكون أميراً عليهم وكانت آراؤهم مختلفة فقرروا نصب أبى موسـى الأشـعرى لحين اسـتقرار الأوضاع وسكت الشيعة عن ذلک حفاظاً على وحدة الصف الكوفى.

أما المصريون فإنّ محمد بن أبى حذيفة رضوان الله عليه تولى إدارة أمور مصر ومنع عبد الله من دخولها.

وكان عثمان قد كتب مع الوفد المصرى كتاباً إلى عامله يأمره أن ينصف الناس وأن لا يمنعهم من المشاركة فى الغزوات.

وأخـذ المصـريون الكتاب وقبل انصـرافه_م إلى مصـر رأوا رسولاً خارجاً بإتجاه مصـر فرابهم أمره ففتشوه فوجدوا معه كتاباً بختم عثمان إلى واليه يأمره بقتل بعض شخصياتهم وصلب بعض آخر والتنكيل بالمعترضين على سياسية السلطة، فأبلغوا الكوفيين والبصريين بما عثروا عليه فعاد الجميع إلى المدينة وارسـلوا إلى أهم الشخصـيات فى المدينة وأخبروهم بما عثروا عليه، فذهبت تلک الشخصـيات وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السـلام إلى عثمان وسألوه فأقر أنّ العبد عبده والخاتم خاتمه إلاّ أنه لم يكتب ما فى الكتاب ولم يأمر به، فطالبوه باعتزال الأمر لأـنه إن كان صادقاً فهو لا يصـلح لإدارة أمر البلاد وإن كان كاذباً فلا يصـلح أيضاً لاسـتهتاره بـدماء الرعيـة، فلم يسـتجب لهم وأصـرّ أبناء الولايات الثلاث على اعتزال عثمان الحكم.

وفى الوقت ذاته كـان الزبير وطلحـة وعائشـة يؤلبون النـاس ضـد عثمـان بينمـا اعتزل أمير المؤمنين عليه السـلام وأمر بنى هـاشم وشـيعته بالاعتزال.

اسـتمر الحال هكذا لمدة من الزمن وكان عثمان يرسل البعوث إلى معاوية فى أشـخاص قوة عسـكرية لإنقاذه من المأزق الذى هو فيه، وكان معاوية يمنيه ولا يبعث إليه

أحد طمعاً فی أنْ یقضی علیه القوم وبعد إلحاح عثمان ارسل قوة عسکریة أمر قائدها بملازمة حدود الشام وعدم التحرک عنها.

وأدرکت عائشة أنّ نهایة عثمان باتت قریبة جداً فترکت المدینة إلی مکة وهی تأمل أن یکون الأمر بعد عثمان إلی طلحة أو الزبیر.

وکان طلحة والزبیر یتحرکان علی الناس علی أمل أن یحضیا ببیعة الثائرین، فی الوقت الذی کان الثائرون لا یطرحون سوی اسم أمیر المؤمنین علیه السلام کمنقذ للإمة مما ابتلت به.

وخرج عثمان للصلاة یوم جمعة فحصبه المعترضون بالحصی حتی سقط عن المنبر إلی الأرض.

وتناهی إلی الناس تحرک القوات الشامیة نحو المدینة، فحصروا عثمان فی قصره وطالبوه بالاعتزال وهو لا یجیبهم طمعاً بوصول النجدة الشامیة، وبعد مضی أربعین یوماً علی الحصار ویأس المعارضة من استجابة عثمان، قام غلام لمروان برمی حجارة علی المحاصرین فقتل رجلاً من المصریین، فطالب المصریون بالقصاص فرفض عثمان إجابتهم فاقتتل المصریون مع حرس القصر، فأغلق الحرس الباب، وبعدها تسلق جماعة من المصریین دار عثمان وقتلوه.

أوضاع البلاد إبّان مقتل عثمان

أدّت سیاسة عثمان إلی تفجیر الأوضاع فی ثلاث ولایات مهمة هی الکوفة والبصرة _ وهتان الولایتان کانتا تمثلان المنفذ الذی یصل بین عاصمة السلطة المرکزیة وشرق البلاد _ ومصر _ التی هی منفذ البلاد إلی القارة الأفریقیة _.

وبعد أن قبض المصریون علی غلام عثمان الذی أرسلته السلطة إلی عبد الله بن

أبى سرح خرجت مصر والكوفة عن سلطة الدولة المركزية تماماً حيث استقلت الكوفة ومصر فى تعيين الولاة.

ففى الكوفة نصب الكوفيون أبا موسى الأشعرى عاملاً على المصر، وفى مصر تولى محمد بن أبى حذيفة إدارة شؤون البلاد.

وبهذا لم يبق تحت سلطة الدولة المركزية إلاّ شبه جزيرة العرب واليمن والشام والبصرة التى لم يكن واليها قادراً على عمل شىء حيث أنّ جملة من أبنائها كانوا يشاركون فى حصار عثمان.

أدرك عثمان وخامة الأوضاع التى يعيشها؛ لذا طلب من معاوية إرسال قوة عسكرية لقمع المصريين والكوفيين والبصريين، وعلى الرغم من طرح معاوية على عثمان الانتقال إلى الشام لكنه رفض ذلك لأنه كان يخشى أنّه فى حال ترك المدينة إلى الشام خروج شبه جزيرة العرب واليمن عن سلطانه أيضاً وهو أمر محتمل جداً خصوصاً وإن الجميع يطالب باعتزاله الحكم، ولم يكن عثمان مستعداً لقبول هذه النتيجة.هذا على صعيد الوضع السياسى الذى كانت تعيشه الدولة.

وعلى صعيد الاتجاهات السياسية فالحركات المؤثرة فى الساحة السياسية بعد أنْ كانت منحصرة فى قريش وبنى هاشم، اصبحت فى هذه المدّة أربعة اتجاهات:

1 _ الاتجاه الشيعى الذى فى قمة هرمه أمير المؤمنين عليه السلام وقواعده فى اليمن والكوفة والبصرة ومصر.

2 _ الاتجاه القرشى الذى تتزعمه عائشة بنت أبى بكر والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر.

3 _ الاتجاه الأموى والذى يتزعمه معاوية بن أبى سفيان ومروان بن الحكم.

4 _ الثائرون ويمثلون القاعدة العريضة للبصريين والكوفيين والمصريين.

وبملاحظة الجرد المتقدم للحركات السياسية المؤثرة فى الساحة الإسلامية يتضح أنّ سياسة عثمان أدّت إلى إيجاد حركتين لم تكونا من قبل، نتجت إحداهما من انشقاق الصف القرشى، والثانية من تلاعب رجال السلطة بأرواح الناس.

كانت ثلاثة من الاتجاهات السياسية تطالب عثمان باعتزال الحكم سواء من كان منهم يحاول إصلاح أمور المسلمين دون سفك الدماء كأمير المؤمنين عليه السلام أو من كان منهم يحاول كل جهده إغراء المحاصرين بالقضاء على عثمان وهم عائشة والزبير وطلحة، أمّا الاتجاه الأموى فلم يكن مؤيداً لاعتزال عثمان، وكان معاوية يرغب بانتهاء الأزمة بمقتل عثمان لأنه يدرک أنه وجميع الأمويين من وجهة النظر الشعبية والرأى الجماهيرى العام لا يصلحون لتولى الحكم، بينما منافسوهم من المسلمين الأوائل، لذا فكفتهم أرجح، فمعاوية وكل بنى أمية بحاجة إلى الحجة التى توصلهم إلى الحكم وليس الحجة إلاّ دماء عثمان، ولهذا السبب لما دعاه عثمان ومن يثق به من عماله طلب منه أنْ يرسل إليه قوة عسكرية تمكنه من القضاء على أبناء الولايات الثلاث، فأَرسل معاوية قوة عسكرية وأمر قائدها أن يقف عند حدود الشام ولا يتقدم نحو المدينة، ثم جاء بنفسه إلى المدينة لدراسة الأحداث عن قرب، وفهم عثمان مغزى قدومه حيث كان معاوية يرمى من مجيئه إلى عثمان تحقيق الهدف المهم وهو الإسراع فى القضاء على عثمان، لأنه بوصوله إلى المدينة ألقى إلى المعارضة مرابطة القوة الشامية فى تبوک، وهذا يعنى أنه فى أىّ لحظة يمكن أن تتوجه تلک القوات إلى المدينة للقضاء على المعارضة، وهذا الخبر سيدفع المعارضة للإسراع فى الوصول إلى ما تهدف إليه من إزالة عثمان عن السلطة لأن بقاءه ولو إلى حين وصول النجدة الشامية يعنى القضاء عليهم، ولما كان عثمان لن يستجيب لمطالبهم فى التنحى عن السلطة ولانتظاره نجدة معاوية فالمعارضة ستكون مضطرة للقضاء عليه، كما أنّه ليس من البعيد أن يكون معاوية قد

دبر مع مروان بن الحكم الإسراع فى قتل عثمان عن طريق إثارة المعارضين(1)، وكان مروان قد نهض بهذا الدور فى أيام الحصار مرات متعددة.

وحصل كل ما خطط له معاوية وأصبح دم عثمان المسوغ لمعاوية لتولى الحكم فيما بعد.فإذن يمكن القول إنّ سياسة عثمان أدّت إلى شرخ الوحدة القرشية من جهة وإلى ظهور الرأى العام بوصفه قوة مؤثرة فى الأحداث إلى درجة كبيرة، وإنْ لم تكن حركة سياسية ذات منهجية خاصة.

الأوضاع بعد قتل عثمان

عند مقتل عثمان((2) كانت الاتجاهات السياسية الأربعة المؤثرة فى الساحة

1- جاء فى تاريخ الطبرى ج 3 ص 570فى كلام جرى بين الأشعث بن قيس الذى كان أحد مبعوثى الوفد الكوفى الذى أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية: (إنى قد فهمت ما رددت على ابن محصن إنه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلب إنك لم تجد شيئاً تستغوى به الناس وتستميل به أهواءهم وتستخلص به طاعتهم إلا قولك قتل إمامكم مظلوماً فنحن نطلب بدمه فاستجاب له سفهاء طغام وقد علمنا أنْ قد أبطأت عنه بالنصر وأحببت له القتل لهذه المنزلة التى أصبحت تطلب ورب متمنى أمر وطالبه الله عزوجل يحول دونه بقدرته وربما أوتى المتمنى أمنيته وفوق أمنيته وواله مالك فى واحدة منهما خير لئن أخطأت ما ترجو أنك لشر العرب حالاً فى ذلك ولئن أصبت ما تمنى لا تصيبه حتى تستحق من ربك صلى النار فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمر أهله).

2- - الإيضاح ص 474، بحار الأنوار ج 23ص 7، ج 32ص 7، 34، نهج السعادة ج1 ص 218، ج5 ص221، السنن الكبرى ج 8 ص 184، تاريخ مدينة دمشق ج50 ص177، تاريخ الطبرى ج3 ص451، تاريخ ابن خلدون ق2 ج2 ص 178، الكنى والألقاب ج 1ص 362، كامل الزيارات ص 155، الفصول المختارة- الشيخ المفيد ص 227، مناقب آل أبى طالب ج2 ص375، الصراط المستقيم ج 1 ص 149، الصوارم المهرقة ص 95، الغدير ج 10ص 24، مستدرک سفينة البحار - ج 6ص 618، ج 8 ص 105، معالم المدرستين ج1ص 142، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج 1ص 173، 174، المستدرک ج 3 ص 115، الفتنة ووقعة الجمل ص 94، شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد ج 4ص 8، كنز العمال ج 5 ص 749، الثقات ج 2ص 267، تاريخ اليعقوبى ج 2ص 178.

السياسـية متواجدة فى العاصـمة وهذا يعنى ان قرار تنصيب الخليفة بيد أقوى هذه الاتجاهات، لذا لابد من ملاحظة مدى قوة كل واحد من هذه الاتجاهات.

أمّا قريش فكانت فى حال ضـعف شديد، فعثمان أبعدهم عن المشاركة فى إدراة البلاد ولم تكن حركتهم السياسية المنفصلة عن بنى أمية قد مضى عليها زمن طويل لتتبلور نظريتهم السياسية ويكون لهم أتباع ومريدون، إذ كانوا يعدون من المنظوين تحت اتجاه الس_لطة الحاكمة حتى زمن عثمان الذى سحب البساط من تحت أرجلهم، لذا كانوا يحاولون كسب المؤيدين من محاصرى عثمان ولكنهم لم يظفروا بشىء لذا انقسموا إلى ثلاث فئات:

الأولى: حاولت الوصول إلى الحكم عن طريق التحالف مع الشيعة، ويرأسهم الزبير وطلحة.

الثانية: اعتزلت وآثرت انتظار تغير الظروف؛ علّها تصب فى صالحها، وعلى رأسهم سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر.

وأمّا الشـيعة فهم على ماهم عليه من القوة ووحدة الصف والارادة الصادقة والانقطاع والوفاء لأهل البيت عليهم السلام وهم لا يرضون بأمير المؤمنين عليه السلام بدلاً.

وأمّا الفئة الثالثة فحاولت التحرك المضاد للحكم الجديد للوصول إلى الحكم وعلى رأسهم عائشة.

أمّا الأمويون فأنهم كانوا يسـعون للوصول إلى السـلطة ما أمكنهم إلى ذلک سبيلاً. أمّا الاتجاه السياسـى الرابع _ المعارضـة الجماهيريـة _ فكان أمامه أحد ثلاثة خيارات:

الأول: اللجوء إلى بنى أميـة، وهـذا الخيار فى قوة المحال فهم قد رأوا من جور بنى أمية وسوء إدارتهم ما دفعهم إلى الثورة عليهم، فالارتماء فى أحظانهم يعنى عودتهم إلى ما ثاروا عليه، بل ولن ينتهى الأمر إلاّ بالقضاء عليهم.

الثـانى: الالتجـاء إلى قريش بالانضـمام إلى طلحـة والزبير، والرجلان ليس لهما موقع حقيقى فى نفوس الثائرين ولم يكن لهما موقف سابق يخرجهمـا عن حيز أتبـاع السـلطة، بـل همـا فى نظر الثـائرين من اركـان الحزب القرشـى ولـم يكن بين الثائرين والرجلين سوى المصـلحة المشتركـة فى ازالة عثمان عن سدة الحكم مِن دون أنْ تكـون هناك وحدة فى الرؤى، وسـعد أسوء حالاً منهما إذ سـبق له أنْ تولى الكوفة أيّام عمر فطالب أهل الكوفة بعزله عن ولايتها، وأهل الكوفة يمثلون ثلث المعارضة.

الثالث: الانضواء تحت لواء أمير المؤمنين عليه السلام الذى كان شيعته يشـيرون إليه ويبينون للأُمة سموه ومبدأيته ونبل غاياته وأهدافه وما يتحلى به من الكمالات التى لا توجد فى غيره، وهو شـريک المستضـعفين فى آلامهم وأول من وقع عليه الظلم بعد وفاة النبى صـلى الله عليه و آله و سلم.

وفى مثل هذه الحالات فى تاريخ الأمم يکـون القرار فى تعيين السـلطة الجديدة اما بيد الثائرين أو القوى المتكافئة على الساحة السياسـية وحيث أنّ القوى ذات التـأثير كانت تتمثل فى بنى أميـة والثائرين وقريش والشـيعة وكان بنو أميـة يصـنفون أعـداءً للاتجاهات الأُخَر وكانت قريش ضـعيفـة جـداً، لذا كان من الطبيعى بعد عدم تصدى الشـيعة لتعيين الحاكم أن ينحصـر أمر تعيين الخليفة بيد الثائرين الذين كانوا ممثلين عن أبنـاء ولايـاتهم فى عمليـة اختيـار الخليفـة، لـذا تميزت السـلطة الجديـدة بأنهـا قـد تم انتخـابه‌ـا من قبل ممثلى أهم الولايات الإسـلامية حيث تم انتخابها من قبل الأنصار والمهاجرين وممثلو البصـرة والكوفـة ومصـر، وهـذه الحالـة الفريـدة من انتخاب الأمّـة لمن يحكمها ويقودها لم تقع إلاّ مع أمير المؤمنين وولده الإمام الحسن عليهما السلام.

الفصل الخامس: الدولة العلوية

اشارة

بعـدما تقـدم من عرض الظروف التى كانت تمر بها القوى السياسـية تنادى الثائرون لبيعـة أمير المؤمنين عليه السـلام وأسـرع طلحة والزبير وبدافع تأمين أطماعهما المستقبلية بالتحالف مع الشيعة إلى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام فكانا أول من بايعه.

ولـم يتخلف عن البيعـة من المهـاجرين وأبنـائهم سوى سـعد بن أبى وقاص وعبـد الله بن عمر، الـذين لما جِيء بهما إلى البيعـة ورفضا لـم يكرههما أمير المؤمنين عليه السلام.

وكـذا لـم يبايع من الأنصار جماعـة، ذكر المؤرخون منهم حسان بن ثابت وزيـد بن ثابت وكعب بن مالك ومسـلمة بن مخلـد ومحمـد بن مسلمة والنعمان بن بشير وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة، روى الطبرى ذلک عن عبد الله بن الحسن وأضاف إليهم أبى بن كعب، وهو بعيد جداً لما هو معروف من ولاء أبى لأهل البيت عليهم السلام.

وروى عن الزهرى تخلف قدامة بن مضعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة عن البيعة.

بينما يروى الشيخ المفيد قدس سره وروى الطبرى أيضاً أنّ أحداً من المهاجرين والأنصار لم يتخلف عن البيعة وأنّ التخلف كان عن المسير إلى حرب الجمل.

تحديات الدولة العلوية

لم تكن الدولـة العلويـة دولة قهر وظلم، أىّ لم يكن هم قادتها وسـراتها فى عهد أمير المؤمنين عليه السـلام التمتع بالمراكز القيادية للدولة والانتفاع الشخصـى والفئوى بامتيازات الحكم، بل كانوا يحملون مبادئ غايـة فى السـمو ويسـعون ما أمكنهم لإقامة حكم الله تعالى على الأرض، ولهـذا السـبب كانت الدولـة العلوية دولة إصـلاحية جاءت لإصـلاح المجتمع الإسـلامى على الصـعيد الداخلى ليتم بإصـلاحه إصلاح العالم.

وكانت هناك مجموعة من التحديات تواجه المشروع الإصلاحى أهمها:

1_ ذوو الأطماع الـذين دفعتهم أطماعهم للـدخول فيما دخل فيه الناس، وهؤلاء ما لم يضـمنوا تحقيق مصالحهم فى الدولة الجديدة فه_م سيقومون وبوحى تحقيق مصالحهم ومنافعهم الخاصة بالكثير من الأعمال التى من شأنها أن تؤثر سلباً على المسيرة الإصلاحية.

2 _ ذوو الأطماع الذين لم يدخلوا فيما دخل فيه الناس وهم على قسـمين، الأول لهم أتباع ومريدون ويتمتعون بسلطة قائمة وتحت أُمرتهم قوات عسكرية وهم بنو أمية وأتباعهم، والقسم الثانى ليس لهم سوى امكانيات محدودة وعلى رأسهم عائشة بنت أبى بكر.

3 _ المتحجرون وهم الشخصيات المتنسّكة قشرياً والجاهلة جهلاً مركباً، وهم يشكلون عائقاً عظيماً فى وجه إصلاحات الدولة العلوية.

4 _ الانحراف المتأصل بسبب محاولات أصحاب الأهواء والبِدع طمس معالم الإسلام الحنيف وتحريفه بما يخدم مصالحهم.

القوى السياسية وتأثيرها فى الساحة الإسلامية

أهم القوى السياسية التى كانت على الساحة الإسلامية ايام البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام:

1_ الشيعة والذين أصبحوا بعد البيعة الحزب الحاكم للدولة بعد أن كانوا الحزب المعارض طيلة السنوات التى أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم جل المهاجرين والأنصار وبنو هاشم وعدد غفير من قبائل اليمن التى سكنت البصرة والكوفة ومصر وعلى رأسها قبائل مذحج وربيعة وهمدان.

2 _ الحزب الأموى الذى كانت قواعده قد ضربت بجذورها فى الشام، ولهم أنصار فى مصر والبصرة.

3 _ الحزب القرشى المتضعضع الأركان المتصدع البنيان، وعلى رأسه عائشة وطلحة والزبير.

لما علم عمال عثمان بقتل صاحبهم وتولى أمير المؤمنين عليه السلام للحكم وهم على معرفة تامة بمنهج أمير المؤمنين عليه السلام الداعى إلى إقامة العدل والإنصاف، وقد بلغهم قيامه عليه السلام باستعادة كل ما تلاعبت به السلطة من الأموال العامة إلى بيت المال، وأنّه سيقوم بتعيين ولاته على الأمصار، فخشوا أن يقوم بمصادرة كل ما تحت أيديهم من الأموال وإعادتها إلى بيت المال فتركوا ما فى أيديهم من أعمال وأرادوا التوجه إلى الشام بعد أن أخذوا كل ما فى بيوت الأموال من الدنانير والدراهم وعلى رأسهم يعلى بن منيه والى اليمن وعبد الله بن عامر بن كريز والى البصرة. بينما قام معاوية باستنفار قواته العسكرية وأعلن الإنذار العسكرى تحسباً للطوارئ.

وأما أحوال الولايات الأُخَر:

فالكوفة كانت ترفض الحزب الأموى والقرشى معاً لذلک انتخبوا أبا موسى الأشعرى لولاية الكوفة بعد ثورتهم على سعيد بن العاص.

ومصر تولى إدارتها محمد بن أبى حذيفة رضوان الله عليه بعد أن منعوا عبد الله بن أبى سرح من العودة إليها.

وعلى الرغم من وجود أنصار للحزب الأموى فى البصرة إلا أنّ عبد الله بن عامر لم يكن من القوة بحيث يتمكن من السيطرة على أوضاع البصرة لو وقع فيها اضطراب.

تطورات الأوضاع السياسية قبل معركة الجمل

استقبلت الولايات العمال الذين أرسلهم أمير المؤمنين عليه السلام إليها عدا الكوفة والشام حيث أصر الكوفيون على إبقاء أبى موسى الأشعرى والياً على الكوفة مع قبولهم لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام.بينما رفض الشاميون خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وقرروا الدفاع عن معاوية.

وفى هذه المدّة كان طلحة والزبير يحاولان الحصول على امتيازات فى دولة أمير المؤمنين عليه السلام فإنهما إنما بايعاه راغبين فى الوصول إلى غاياتهما، فطلبا إليه أن يوليهما البصرة والكوفة فرفض أمير المؤمنين عليه السلام ذلک، فعادا بعد ذلک وطلبا منه أن يجعل لهما ميزة خاصة فى الأموال العامة، فلم يرض بذلک ايضاً، فعلم الرجلان أنّ أمير المؤمنين عليه السلام يتعامل معهما كما يتعامل مع سائر المسلمين، وهذا يعنى أنهما لن يصلا إلى ما كانا يطمحان إليه من البيعة.

وفى هذا الوقت كانت عائشة فى مكة، وكانت قد خرجت إليها أيام حصر عثمان بعد أن علمت أنّه مقتول لا محالة، وكانت تتصور أنّ الخلافة لن تعدوا طلحة أو الزبير

فهما أشـد الناس على عثمان، حيث كان طلحة بنفسه شاكاً فى السـلاح ومع المحاصـرين وهو الذى دعا إلى منع وصول الماء والطعام إلى دار عثمان وكذلک كان دور الزبير، وهذا الحضور الواضح للرجلين فى حصار عثمان والتأليب عليه سـيكون داعياً للثائرين لمبايعة أحدهما, وكانت وهى فى مكـة تؤلب الناس على عثمان وتعـدد عيوبه، فلما بلغها قتل عثمان لـم تشک فى وصول طلحـة أو الزبير إلى كرسـى الحكم خاصة وإن الذى نقل إليها نبأ قتل عثمان أنبأها ان طلحة اتخذ الأقفال على أبواب بيت المال.

فرحلت إلى المدينـة وفى الطريق بلغها نبأ بيعـة المهاجرين والأنصار والثائرين وطلحة والزبير أمير المؤمنين عليه السـلام فوقع الخبر عليها وقع الصاعقة فعادت إلى مكة مصممة على إسقاط حكم أمير المؤمنين عليه السلام الذى تعدّه خروجاً عن المخطط القرشى الذى شاركت فى حياكة كل تفاصيله مع رؤوس الانقلابيين على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ومنظريها منذ عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

لـم يكن لعائشـة مسوغاً قانونياً لرفض الخلافـة الجديـدة ولهـذا السـبب اتخذت قتل عثمان ذريعة لإعلان المعارضة، فى الوقت الذى كانت وإلى يوم سـماعها خبر تولى أمير المؤمنين عليه السـلام للحكم تصف عثمـان بالكفر والفساد وترى ضـرورة القضاء على حكمه وهى التى رفضت الاستجابة لطلب مروان فى البقاء فى المدينة لقدرتها على الإسهام فى دفع الخطر عن عثمان.

وهكـذا عادت عائشـة إلى مكـة وأخـذت تعـد العـدة لإثارة الأوضاع ضد أمير المؤمنين عليه السـلام، وبعد علمها ببيعة طلحة والزبير أمير المؤمنين عليه السـلام لـم يبق لها بـد من العمل بمفردها لتهيئة الأوضاع للثورة على أمير المؤمنين عليه السـلام وبسـبب الضـعف المطلق الـذى يحيط حركته_ا السياسـية لجأت إلى التحالف مع الحزب الأموى الذى يتزعمه معاوية بن أبى سـفيان، فكانت الدعوة إلى الأخذ بثأر عثمان علامة المودة

لمعاوية وحزبه الذى كانت بالأمس من أشد الناس عليه.

وعلم معاويـة بموقف عائشـة وتوقع أنْ يلتحق بها طلحـة والزبير لطمعهما بالحكم فأمر من كان فى جزيرة العرب من زعماء الحزب الأموى بشقيه السفيانى والمروانى باستثمار موقف عائشة لصالح الحزب الأموى ومحاولة درأ الخطر عن الشام.

فالتحق بعائشة سعيد بن العاص ومروان بن الحكم ويعلى بن منية وعبد الله بن عامر.

وهكذا، فالدعوة للأخذ بثأر عثمان منحت عائشة عدة مكاسب:

1 ـ كسب التأييد الأموى وعقد تحالف أموى ـ قرشى، يسعى للقضاء على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

2 ـ تقديم المسوّغ القانونى للرأى العام ومحاولة كسبه إلى جانب التمرد على الخلافة الحقة.

3 ـ إخفاء الـدوافع الحقيقيـة للتمرد تلبيساً على الناس لكسب البعض من جهـة وتحييد البعض الآخر لورود الشـبهة عليه بحيث يتردد فى الوقوف إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام.

4 ـ إحراج موقف أمير المؤمنين عليه السـلام حيث لا يمكنه تسليم قتلة عثمان لأن قاتل عثمان غير مشخص ولم يشترك جميع الثائرين فى قتله ليقادوا به، كما أنّ عائشـة ليست لها أهليـة المطالبـة بدم عثمان لعدم إحرازها لصـفة قانونية تؤهلها لهذا النحو من المطالبة، كما أنّه عليه السـلام يعلم أنّ المطالبة بدم عثمان مجرد لعبة سياسـية الهدف منها شق صف أنصار أمير المؤمنين عليه السـلام فإن المسـببين الحقيقيين لقتله عائشة وطلحة والزبير ومعاوية ومروان بن الحكم.

وفی هذه المدّة علم طلحة والزبیر بمشروع عائشة الرامی إلی القضاء علی دولة أمیر المؤمنین علیه السلام فاستأذنا أمیر المؤمنین علیه السلام فی العمرة فلم یأذن لهما فألحّا علیه فأخذ علیهما العهود والمواثیق أن لا ینکثا البیعة ولا یغدرا ولا یمزقا صف الأمة ولا یفرقا المسلمین فحلفا له علی ذلک، فأذن لهما وتوجها إلی مکة ونقضا أیمانهما والتحقا بعائشة.

ولما کان موقفهما تجاه عثمان أشهر من نار علی علم، دعیا أنهما کانا مخطئین فی موقفهما من عثمان وأنهما تائبان إلی الله تعالی عما بدر منهما تجاهه وهما یعتقدان أنّ التوبة لا تتم إلاّ بالمطالبة بدمه.

وفی هذه المدّة التحق بعائشة عدد من الشخصیات الأمویة التی أمرها معاویة بالالتحاق بالناکثین لتقدیم الدعم اللازم لهم والسیطرة علی الأوضاع عن قرب ورسم مسیر الأحداث بما یصب فی صالح الحزب الأموی.

اجتمع زعماء التحالف الأموی _ القرشی لاتخاذ الموقف المناسب فاقترح بعضهم التوجه إلی المدینة وخوض الحرب وإسقاط الدولة العلویة، ولکن أصحاب الخبرة منهم رفضوا ذلک لأن المدینة فی هذا الوقت فیه_ا عدد غفیر من الکوفیین والبصریین والمصریین والمهاجرین والأنصار الذین بایعوا أمیر المؤمنین علیه السلام فضلاً عن أمیر المؤمنین علیه السلام الحاضر بینهم، وهذا یعنی إخفاق حرکتهم العسکریة لا محالة، فاقترح البعض منهم التوجه إلی الشام فلم یرض الأمویون بذلک، وکذا لم یناسب الاقتراح ذوق طلحة والزبیر لأنه یعنی کونهم فی سلطان معاویة فی الوقت الذی کانا یریدان الاستقلال بالأمر، واقترح آخرون السیر إلی الکوفة فرفض اصحاب الرأی منهم السیر إلیها لأن اهلها بایعوا أمیر المؤمنین علیه السلام وأهلها لا یدینون بالولاء للحزب القرشی ولا لبنی أمیة، وأبو موسی وإن کان فی الکوفة ولکن الفتق والرتق بید زعمائها لا بیده.

فاقترح عليهم عبد الله بن عامر بن كريز التوجه إلى البصـرة لأن فيها أتباع له فقرَّ رأيهم على ذلک. ومن هذا السرد التاريخى تتضح جملة من الحقائق:

1 ـ فقدان الحزب القرشـى للتأييد الشـعبى، لذا اضـطروا إلى الاستفادة من موقع عائشة الاجتماعى للتلاعب بأفكار الرأى العام، والتحالف مع بنى أمية لحشد أتباع الأمويين وقدراتهم البشرية والمالية لصالح الناكثين.

2 ـ سـعى معاوية لدرء الخطر عن الشام ما أمكن، لذا كتب إلى الزبير بعد أن بلّغه أنه بايع أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قد بايع له فى الشام ولطلحة من بعده، فكان ذلک حافزاً للرجلين فى الالتحاق بعائشة فى مكة.

فمعاويـة وبنو أبيه كانوا يسـعون لـدرء الخطر عن الشام؛ لـذا لم يقـدم معاويـة أىّ معونة للمعسـكر القرشـى مريداً بذلک إيقاع الشـقاق بين الولايات التى دانت بالطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام وزرع الفتنة فى مختلف بقاع الدولة.

3 ـ سـعى الأمويين لفرض أنفسهم بوصفهم حليف مقتدراً مؤثراً فى الأحداث بما يخدم اهدافهم على الأمد البعيد بسبب تمتعهم بقدرات مالية وعسكرية جيدة.

وفى هـذا الوقت كـان أمير المؤمنين عليه السـلام يعـد العـدة للتوجه إلى الشـام للقضاء على تمرد معاويـة، فوصـلته أنباء تحركات الناكثين وتوجههم إلى البصرة.

وفى الوقت نفسه سـعى معاوية للسـيطرة على مصـر وضـمها إلى ملكه قبل وصول قيس بن سعد رضوان الله عليه إليها، ولكن محمد بن أبى حذيفة رضوان الله عليه ناوش قواته القتال حتى مضى شهيداً ووصل قيس رضوان الله عليه إلى مصر مِن دون أن يتمكن معاوية من فتحها.

ضمت قوات عائشـة القرشـيين الـذين يمثلون الامتداد الطبيعى للحزب القرشـى الذى فتته سـياسة عثمان القبلية، وانظم إليهم عمال عثمان والمنتفعين من حكمه،

بالإضافة إلى بنى أمية الذين كانوا يسعون إلى تحقيق هدفين استراتيجيين أحدهما القضاء على دولة أمير المؤمنين عليه السلام والثانى التمهيد لسيطرة بنى أمية على مسند الحكم.

وكان جيش الناكثين قد جهز بأموال اليمن التى جاء به_ا عبد الله بن أبى ربيعة عامل عثمان على صنعاء ويعلى بن منية عامله على الجند.

ويستمد قوته الشعبية من عائشة التى تتمتع بموقع خاص بسبب كونها زوجة النبى صلى الله عليه وآله وسلم. ودعوى تحركه كانت الطلب بدم عثمان.

وبعد أن اتخذ الناكثون قرارهم بالتوجه إلى البصرة حاول قادة التآمر دعوة السيدة أم سلمة رضوان الله عليها للتوجه معهم إلى البصرة وطلبت عائشة من حفصة السير معها، فاستجابت حفصة لطلب عائشة، إلاّ أنّ أخاها عبد الله بن عمر منعها.

أما السيدة أم سلمة رضوان الله عليها فإنها رفضت دعوتهم بشدة، وطلبت من عائشة ترک عداوة أمير المؤمنين عليه الس_لام و إلغاء عزمها على السير إلى البصرة؛ لأن سيرها ابتغاء الفتنة وسفک الدماء وهتک الحجاب الذى أمرها الله تعالى به, إلاّ أنّ الاخيرة لم تستجب لنصحها.

ولما رأت السيدة أمّ سلمة رضوان الله عليها عزم القوم على تنفيذ مخططهم أعلنت فى مكة أنّ ما يقوم به الناكثون فاقد المسوّغات الشرعية وأبطلت مدعياتهم فى تبرير الثورة على أمير المؤمنين عليه السلام وبينت أنّ الزبير وطلحة تلزمهم البيعة على وفق الموازين الإسلامية لأنهما بايعا طوعاً ولم يصدر من أمير المؤمنين عليه السلام ما يسوّغ نكث بيعته والخروج عليه، و إنّ عائشة بخروجها تخالف القرآن وتهتک حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمع الناس كلمات السيدة أم سلمة رضوان الله عليها تخلف عن الناكثين جملة من الناس.

وتخلف عنهم أيضاً سعيد بن العاص لأنه رأى أنّ قادة الناكثين يريدون أن يكون الأمر

إليهم ولا يعيدونه فى بنى أمية، بينما التحق بهم مروان وكان هدفه من الإلتحاق بالناكثين الإسهام فى إدارة الأمور بالنحو الذى يضمن مصالح بنى أمية لو كتب لهم النصر، والثأر لعثمان إن أمكنه ذلك إذ كان أحد شهود قتل عثمان ويعلم اكثر من غيره أين محل الثأر.

البصرة فى تخطيط الناكثين

كانت البصرة بالنسبة لقادة الناكثين ذات أهمية خاصة وعمق استراتيجى هام, ذلك لأنهم يعلمون أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لن يدعهم وتحركهم المضاد لدولته فعليهم الإسراع فى العمل قبل أن تستتب له الأمور، ولما كان معاوية قد بايع للزبير وطلحة فى الشام ووعدهم النصرة، والكوفة يمكن مد نفوذهم إليها لو سيطروا على البصرة، فالتوجه إلى البصرة يشكل الخطوة الأولى فى بناء دولتهم التى لن ترى النور مالم يتم القضاء على الدولة العلوية. ثم إنّهم إن استطاعوا احتلال البصرة قبل أن يداهمهم أمير المؤمنين عليه السلام فإنها ستكون لهم ملجأً اميناً خاصة بعد أن يلتحق بهم الموالون لعبد الله بن عامر كما أنهم سيوفرون المال اللازم لتحركهم العسكرى بالسيطرة على خزينة الدولة المودعة فى بيت المال، فى الوقت الذى تكون فيه قوات أمير المؤمنين عليه السلام قد أرهقها السفر الطويل من الحجاز إلى البصرة، مع وجود أبى موسى الأشعرى فى الكوفة الذى سيخذل الناس لو دعاهم أمير المؤمنين عليه السلام للالتحاق به لخوض الحرب، ومعه لن يكون مع أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ من خرج بهم من الحجاز وهم عدد قليل يمكن أن تطحنهم بسهولة القوات العسكرية المدربة التى فى البصرة، هذا فى حال تعقب قوات الدولة للناكثين، وأمّا إذا كف عنهم أمير المؤمنين عليه السلام وبقى فى المدينة وجهوا إليه الجيوش حتى يتم لهم القضاء على دولته.

توجه الناكثون إلى البصرة مسرعين وفى الطريق نبحت الكلاب عائشة فسألت عن اسم المنطقة التى نبحتها كلابها فقيل الحوأب، فولولت وأمرت بردها لأن النبى صلى

الله عليه وآله وسلم حذرها من هذا المسير.

وأدرک عبد الله بن الزبير حراجة الموقف فجاءها بأربعين رجلاً شهدوا أنّ الدليل أخطأ وأنّ المنطقة ليست الحوأب !!

واس_تمر النـاكثون فى سـيرهم حتى وصـلوا إلى البصـرة، فعلم عثمان بن حنيف رضوان الله عليه _ عامل أمير المؤمنين عليه السـلام على البصـرة _ بوصولهم فأرسل إليهم يسـتكشف حالهم فعاد إليه رسولاه يخبرانه بعزم القوم على إسقاط حكومة أمير المؤمنين عليه السلام وإنّ احتلال البصرة اولى خطوات تحركهم.

ومع عزم أمير المؤمنين عليه السلام للتصدى لحركة الناكثين جاءه أسامة بن زيد _ أحد أذناب الحزب القرشى _ وطلب منه ترک التوجه إلى قتال الناكثين واعتزال الأمر، فرده عليه السلام ولا يبعد أن تكون حركة أسامة هذه قد دُبّرت بينه وبين المتآمرين من القرشيين والأمويين.

كانت حركة الناكثين تمثل تهديداً جدياً للدولة العلوية، فالناكثون فى البصـرة وأبو موسـى فى الكوفة ومعاوية فى الشام، والتوانى سيؤدى إلى تفاقم الأوضاع فى أرجاء البلاد المترامية الأطراف.

ولما عزم أمير المؤمنين عليه السـلام على السـير إلى البصـرة أشار عليه بعض أصـحابه أن يصـطحب السيدة أم سلمة رضوان الله عليها كما اصـطحب الناكثون عائشـة، فأبى عليه السـلام أن يهتک حرمة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم وعند خروجه من المدينة أبدت تألمها لذلک وصرحت أنّه لولا أنّ الله تعالى أمر نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالقرار فى بيوتهن لسارت معه، فجزاها عليه السلام خيراً(1).

1- كانت السـيدة أم س_لمـة رضوان الله عليها تحضـى بموقع خاص عنـد أهل البيت عليهم السـلام وكانت محل ثقتهم وموضع أماناتهم حيث أودعها النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم التربـة التى جاءها به جبرئيل عليه السـلام من كربلاء وأودعها الإمام الحسـين عليه السـلام أماناته عند خروجه إلى الكوفة، وفى بيتها نزلت آية التطهير، ولها مواقف مشرفة تجاه أهل البيت عليهم السلام وخلص شيعتهم.

تحرک جیش أمیر المؤمنین علیه السـلام إلی الربـذة لقطع الطریق علی النـاکثین حیث کـانت ممر القوافل بین العراق ومکـة، ولکن القوم کانوا قد فاتوه. فأسـرع علیه السلام إلی ذی قار وعسکر فیها، وبعث ولده محمد بن الحنفیة وربیبه محمد بن أبی بکر رضوان الله علیهمـا إلی الکوفة لاستنهاض الناس للنصرة فوجدا أبا موسی علی ما یکرهان، وکان یخذّل الناس عن نصرة أمیر المؤمنین علیه السلام ویطلب من الناس اتخاذ موقف الحیاد.

عاد المبعوثان أدراجهما وأخبراه بموقف أبی موسی، فأرسل إلی الکوفة الإمام الحسن علیه السلام وعمار بن یاسر وعبد الله بن عباس رضوان الله علیهما فدار بینهم وبین أبی موسی جدال طویل انقسم فیه أهل الکوفة بعض إلی جنب الوفد وبعض یقولون بمقالة أبی موسی.

کان مالک رضوان الله علیه یتمتع بموقع جید فی الکوفة وله عشـیرة قویة کثیرة العدد تقف إلی جنبه و یعلم بما تنطوی علیه سریرة أبی موسی ومـا هو السبیـل النـاجع لمنع تمـادیه فاسـتأذن أمیر المؤمنین علیه السـلام فی التوجه إلی الکوفـة لحسم الأمر فأذن له، وما هو إلاّ أن دخل الأشتر رضوان الله علیه الکوفة حتی فر منها أبو موسی.

ألقی مالک رضوان الله علیه خطاباً فی أهل الکوفـة دعا فیه إلی اجابـة أمیر المؤمنین علیه السـلام وحـذرهم من أنّ الناکثین إن انتصـروا عاد الأمر بید بنی أمیة وعاد إلیهم فسَقتهم فاتفقت، کلمة الناس وتهیأوا للالتحاق بالجیش.

أمّا الناکثون فإنهم علموا باستقرار قوات أمیر المؤمنین علیه السلام فی ذی قار

وأنّه أرسل إلى الكوفة يطلب النصرة، فأسرعوا فى اقتحام البصرة.

وأمّا البصريون فإنهم انقسموا إلى ثلاث فرق فرقة مع عثمان بن حنيف رضوان الله علىــه وفرقة مع الناكثين وفرقة التزمت الحياد.

تصـدى عثمان رضوان الله عليه بمن معه من المؤمنين للناكثين واندلعت الحرب وقتل عدد كبير من الفريقين فضـلاً عمن جرح، ثم تدخل الناس وعقد الفريقان هدنة كان بموجبها المسـجد وبيت المال ودار الإمارة تحت تصـرف عثمان رضوان الله عليه ويختار الناكثون ما شاءوا من مناطق البصرة لاستقرارهم لحين قدوم أمير المؤمنين عليه السلام.

وثق الناس بما أعطاه الناكثون من عهود إلاّ أنّ الناكثين كانوا قد اتخذوا من الهدنة فرصة للغدر بعثمان وأصحابه فما إن جنّ الليل حتى قامت قوات النـاكثين بـالهجوم على حراس بيت المـال وأسـرهم ثم قتلهم صبراً بيـد الزبير بن العوام، واقتحموا دار عثمان رضوان الله عليه واقتادوه أسـيراً ونتفوا شـعر لحيته حتى لم يبق منها شـعره وحاجبيه وأشـفار عينيه بأمر طلحة وأرادوا قتله لكنهم خشوا أن ينتقم أخوه سهل بن حنيف رضـوان الله عليه والى المدينـة من ذويهم إن هم قتلـوه فحبسـوه ثم خـافوا أن يحبس سـهل رضوان الله عليه ذويهم فـأطلقوه فـالتحق بـأمير المؤمنين عليه الســلام.

ولما سـيطر الناكثون على بيت المال ورأو ما فيه من الأموال صـرح طلحة والزبير بأولويتهم من غيرهم بها، وإنها مما وهبها الله اياهم، وأراد طلحـة أن يختم بيت المال بختمه فمنعه الزبير وأراد هو الآخر أن يختم بيت المال بختمه فمنعه طلحـة وتنازعا، فبلغ الخبر عائشة فأمرت أن يختم كلاً منهما وأن يختم عبـد الله بن الزبير نيابـة عنها، وهـذه الخطوة دالـة على فقدان الثقة بينهم ومحاولة كل واحد منهم السـيطرة على الأوضاع لصالحه، ولولا وجود عائشة وسلطتها عليهم بسبب حاجتهم إليها لكان لحديثهم شكل آخر.

وفی صبیحة الیوم التالی اجتمع الناس فی المسجد منتظرین عثمان بن حنیف لیصلی حیث لم یبلغهم نقض الناکثین للهدنة إلاّ أنهم فوجئوا بتقدم طلحة والزبیر کل منهما یرید أن یصلی بالناس وتدافعا حتی کادت الشمس أن تشرق وتصایح الناس ووصل الخبر عائشة فأمرت أن یتناوب فی الصلاة عبد الله بن الزبیر ومحمد بن طلحة.

ولما علمت عبد قیس بما جری علی عثمان رضوان الله علیه انتدب حکیم بن جبلة رضوان الله علیه بمن معه من المؤمنین للدفاع عن عثمان رضوان الله علیه فدارت بینهم وبین الناکثین معرکة انتهت بشهادة حکیم بن جبلة رضوان الله علیه وأخیه وعدد کبیر ممن معه ونتج عن ذلک ترک عبد قیس البصرة وعسکروا خارجها بانتظار قدوم أمیر المؤمنین علیه السلام.

وهکذا انقسم البصریون إلی ثلاث فئات، فئة مع عائشة والناکثین، وفئة مع أمیر المؤمنین علیه السلام وفئة اختارت الاعتزال وهم علی قسمین:

1_ من لم یرد الاش_تراک فی الأمر وهم الأزد وسیدهم کعب بن سور قاضی عمر علی البصرة.

2 _ بنو سعد من بنی تمیم ورأسهم الأحنف بن قیس بعد أن أخبر أمیر المؤمنین علیه السلام انه ان کان إلی جنبه تبعه بضع مئات من قومه، وإن اعتزل القتال أغمد أربعة الآف سیف من تمیم فأمره علیه السلام بالاعتزال.

وبعد أن فرض الناکثون سلطتهم علی البصرة بعثت عائشة إلی المدینة والیمامة والکوفة والشام بکتبها تخبرهم بتطورات الأوضاع فی البصرة وإنها فی سلطتهم وإن معاویة بایع لهم فی الشام ودعتهم إلی النصرة قبل أن یصل إلیهم أمیر المؤمنین علیه السلام واستبشرت حفصة برسالتها وأظهرت السرور وأمرت جواریها بضرب الدفوف فرحاً بانتصارات الناکثین فتصدت لها السیدة أم کلثوم بنت أمیر المؤمنین علیه السلام _

وقيل السيدة أم سلمة رضوان الله عليها(1).

ولم تمض مدّة حتى وصلت القوات الكوفية إلى ذى قار وزحف بها أمير المؤمنين عليه السلام إلى البصرة، ولما وصلها أرسل مبعوثيه إلى رؤساء الناكثين يدعوهم للعودة إلى الطاعة، فأبوا ذلک وأصروا على حربه فأرسل إليهم ثانياً فأبوا عليه.

وعلم الناكثون باختيار كعب بن سور الاعتزال فأرسلوا إليه ليلتحق بهم فأبى ذلک وعلم الرجلان أن كعباً إن لم يلتحق بهم فإنهم يخسرون المعركة لأن الأزد ستتخلف عنهم بتخلفه فأخبرا عائشة بحراجة الموقف، فأرسلت إليه تدعوه للنصرة فأبى عليها ثم قصدته بنفسها فاستحيا وأجابها. وانضمت الأزد إلى الناكثين لالتحاقه بهم.

والتقى الفريقان وعبّأ كل واحد منهما قواته وأرسل أمير المؤمنين عليه السلام إليهم مرة أخرى يدعوهم لحقن دماء المسلمين فظنوا أنّ ذلک إنما كان لضعفه وقوتهم فأبوا أن يقبلوا دعوته، ثم طلب أن يقوم أحد أفراد عسكره بأخذ المصحف ودعوتهم إليه وأخبرهم أنّ الذى يقوم بذلک يقتل وضمن له الجنة فقام شاب اسمه مسلم وأخذ المصحف ودعاهم إلى ما فيه فأمرت عائشة بقتله فقتلوه برماحهم.

ثم رشق جيش الناكثين جيش أمير المؤمنين عليه السلام بالسهام وقتل أحد الكوفيين بسهام القوم، فاندلع القتال بين الطرفين ولم يمض على القتال مدّة حتى كانت الهزيمة فى الناكثين، ولما خشى الناكثون على عائشة أحاطوا بالجمل واستبسلوا فى الدفاع عنه، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بعقره فلما وقع فر القوم وانتهت المعركة.

وعندما أحسّ مروان بن الحكم بفرار الناس وقعت عينه على طلحة فرماه بسهم فأصاب منه مقتلاً فمات بسببه بعد ذلک.

1- الكافئة- الشيخ المفيد ص 16، الصراط المستقيم ج 3ص 169، الجمل- ضامر بن شدقم المدنى ص 32، كتاب الأربعين- محمد طاهر القمى الشيرازى ص 627، نهج السعادة ج1 ص273، الإمام على عليه السلام- أحمد الرحمانى الهمدانى ص 753.

أمّا الزبير فإنه اعتزل القتال بعد أن ذكّره أمير المؤمنين عليه السلام بحادثة وقعت له معه ايام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبعه عبد الله بن جرموز وقتله قرب سفوان.

ولما هزم القوم نادى مناد أمير المؤمنين عليه السلام أنّ لا يجهزوا على جريح ولا يتبعوا مدبراً وأن اموال أهل البصرة وذراريهم ونساءهم محترمة وان الغنيمة فيما حواه العسكر فقط، وأسر جماعة من قوات الناكثين فأمر علىه السلام باطلاق سراح من لم تقم البينة على أنّه قتل أحداً من أصحابه.

ثم دخل عليه السلام البصرة وفتح بيت مالها ولما رأى ما فيه من أموال قال يا بيضاء يا صفراء غرى غيرى، ثم قسّم المال فيمن معه من المقاتلة وأخذ كنصيب أحدهم ثم جاءه رجل من عسكره سقط اسمه من الديوان فأعطاه عليه السلام سهمه.

وبعد أن استتب الأمر أمر عليه السلام عائشة بالعودة إلى المدينة فامتنعت فأرسل إليها أنها إن لم تخرج طائعة أرسل إليها نساء من بكر بن وائل يؤدبنها، فأجابت إلى الخروج إلى المدينة وأرسل معها أربعين امرأة فى ثياب الرجال لحراستها.

وبعد ذلک نصب عبد الله بن عباس والياً على البصرة، وتركها متوجهاً إلى الكوفة.

نتائج حرب البصرة

كانت النتيجة الأولى لحرب البصرة انتهاء الحزب القرشى وإلى الأبد، ولم يعد له دور سياسى فاعل على ساحة الأحداث، وحتى عبد الله بن الزبير مع محاولته المستميتة للوصول إلى الحكم لم يكن يتحرک بعد ذلک على أساس فكرة الحزب القرشى بل استعار نظرية الملک الوراثى الأموية، وكان له ذلک بعد هلاک يزيد بن معاوية أى بعد ما يقارب سبع وعشرين سنة من واقعة الجمل.

والنتيجة الثانية سحب معاوية القوات التى أرسلها لضم مصر إلى الشام تحسباً للطوارئ خصوصاً بعد وصول قيس بن سعد رضوان الله عليه عاملاً عليها.

والنتيجة الثالثة توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة وزيادة احتمالية اندلاع الحرب بينه وبين المعسكر الشامى.

والنتيجة الرابعة الآثار النفسية العظيمة التى كسبها أنصار أمير المؤمنين عليه السلام بسبب النصر الذى حالفهم فى المعركة والمنافع المادية التى عادت إليهم، والأهم من ذلک ما لمسوه من شجاعة قائدهم وحسن تدبيره وزهده بحطام الدنيا وسعة حلمة وغزارة علمه وتفانيه فى ذات الله تبارک وتعالى مما كشف لهم وجود خصوصيات فيه لم يعهدوها فيمن سبقه من الحكام.

وقعة الجمل فى الإعلام المعادى لأمير المؤمنين عليه السلام

فى المدّة المتأخرة عن حرب الجمل ارتأى محرفو التاريخ التلاعب بالحقائق التاريخية خدمة لأغراضهم السياسية الضيقة الأفق، وكانت محاولاتهم تنصب على الدفاع عن الناكثين _ وبغض النظر عن التوجهات الفقهية التى دعت القوم إلى سلوک مذاهب غريبة فى الدفاع عن الناكثين _ فإنهم من الناحية التاريخية وفى محاولة لحرف الحقائق سلكوا طريقين:

1_ ادعاء أنّ الناكثين كان_وا دعاة لإصلاح أمر الأمة وقد وافقوا على الصلح مع أمير المؤمنين عليه السلام ولكن قبل أن يتم الفريقان عقد الصلح تراشق جهلة العسكرين بالنبل ووقع القتل فى المعسكرين مما أدّى إلى نشوب الحرب مِن دون سبق إرادة من قادة العسكرين.

2_ الإدعاء الثانى بالإضافة إلى ما بنى عليه الإدعاء الأول من محاولة تنصيع وجه

الناكثين، محاولة الطعن بعسكر أمير المؤمنين عليه السلام واتهام خلص أصحابه كمالک الأشتر رضوان الله عليه بالعمل على إيقاع الحرب بين الفريقين بدعوى استجابته لدعوة عبد الله بن سبأ الذى أغراهم بتبييت عسكر الناكثين، لأن رؤساء العسكرين سيوقعون معاهدة الصلح مما سيدفع أمير المؤمنين عليه السلام إلى قتلهم انتقاماً لدم عثمان بن عفان.

وهذه المحاولة المسمومة تهدف إلى رفع مسؤولية عثمان بن عفان وبنى أمية عن كل ما ارتكبوه من سوء إدارة دفع الأمة للثورة عليهم من جهة، ومن جهة أخرى فيه محاولة للطعن على التشيع بدعوى أنه من تأسيس عبد الله بن سبأ، ولكن الحقيقة على عكس ذلک تماماً فعبد الله بن سبأ _ الذى يذهب بعض المؤرخين إلى كونه شخصية أسطورية لا وجود لها وإنما خلقتها الدوافع السياسية _ لم يذكره المؤرخون ولم تذكر هذه الشخصية إلاّ فى كتابات السرى إلى الطبرى فى تاريخه(1) ويغلب الظن أنّ السرى استعار شخصية عمار بن ياسر رضوان الله عليه لتكون شخصية عبد الله بن سبأ، ذلک لأن نشاط ابن السوداء _ كما يُطلق على ابن سبأ _ ش_رع مع التحرک ضد استهتار الجهاز الأموى الحاكم أيام عثمان فى مصر.

والذى يؤيد اختلاق هذه الشخصية لأسباب سياسية عدم تركيز المؤرخين عليها فى احداث تلک المدّة مع ذكرهم لمن لم يكن له إلاّ فعل واحد كمسلم الذى حمل المصحف بين العسكرين يوم الجمل، وأمّا الذين لهم أدوار بارزة فى أحداث تلک الأيام كعمار ومحمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة ومالک الأشتر وعثمان بن حنيف

1- الذى يقرأ تاريخ الطبرى يجد بوضوح أنّ أغلب _ إن لم يكن كل _ ما يتفرد السرى فى روايته يكون على خلاف مايرويه عامة المؤرخين وتشم منه بوضوح رائحة الس_ياسة المنحرفة فلم يكن زعماء التحرک فى مصر سوى عمار ومحمد بن أبى بكر ومحمد بن أبى حذيفة رضوان الله عليهم ولم يكن بينهم أسود إلاّ عماراً رضوان الله عليه.

وحكيم بن جبلـة وغيرهم من المؤمنين رضوان الله عليهم وعثمان بن عفان والوليد بن عقبة وسـعيد بن العاص ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وابيه وطلحة وابنه محمد وكعب بن سور وأضـرابهم فكتب التاريخ مشحونة بالحديث عنهم أيضاً، فلِمَ يا ترى لم ينصف المؤرخون ابن سبأ واكتفوا بإنصاف السرى إياه مع عدم وجود أى مسوّغ موضوعى لترك الحديث عنه؟؟!!

اختيار الكوفة عاصمة للدولة العلوية

بعد انتهاء معرك_ة الجمل نصب أمير المؤمنين عليه السـلام عبد الله بن عباس والياً على البصـرة، وتوجه إلى الكوفة لتصـبح بذلك عاصمة الدولة للمرة الأولى فى تاريخها.

كان سبب اختيار الكوفة عاصمة لدولته عليه السلام يعود إلى عدة أسباب:-

1 _ الموقع الجغرافى للكوفة حيث أنها تقع فى وسط الدولة الإسلامية مما يجعل عملية الإتصال بباقى أطراف الدولة أمراً أكثر يسراً.

2 _ إنّ أكثر الشـيعة موجودون فى الكوفـة حيث أنّ عـدد اليمنيين فى الكوفـة كبير جـداً وأهم قبائلهم مذحـج وربيعة وهمدان ذات الأغلبية الشـيعية، نعم لـم يكن كل أهل الكوفة شـيعة بل لـم تكن الغالبية شيعية فهم لـم يشكلوا فى عهد أمير المؤمنين عليه السلام سوى سبع سكان الكوفة.

3 _ تمتع الكوفـة بقـدرات عسـكرية وكفاءات قتالية عالية، لأن الكوفة كانت مقراً للقوات التى أخذت على عاتقها توسـعة رقعة الدولة بإتجاه الشـرق من حين تمصـيرها فى السنة الخامسة عشرة من الهجرة، فالكوفة فى حقيقتها محطة لاستراحة القوات العسكرية شأنها فى ذلك شأن البصرة.

4 _ توفر إمكانيات اقتصاديـة كبيرة فى الكوفة بسـبب خصب أرضـها ووفرة المياه فيها بسـبب مرور الفرات فى أراضـيها حتى كانت تسـمى بأرض السواد بسبب شدة الخضرة فى أرضها.

5 _ التهديد الذى يشكله الحزب الأموى الذى اتخذ الشام مقراً له. فمعاوية الذى كان يُعدّ زعيم التحرك الأموى بعد القضاء على عثمان لم يأل جهداً فى زعزعة أمن دولة أمىـر المؤمنين عليه السـلام حيث دعم حركة الناكثين وحاول اسـتغلال الظرف السياسـى الصعب _ الذى واجهته الدولة المركزية أيام احتلال البصـرة من قبل أصـحاب الجمل _ لضم مصر إلى سلطته ولكن المقاومة الباسلة التى أبداها محمد بن أبى حذيفة ومن معه رضوان الله عليهم أفشلت مخططه، وكانت هذه الخطوة منه كاشفة عن نزعته فى التوسع والرغبة فى السيطرة على مقاليد الأمور، وكانت الشام تتمتع بقدرات عسكرية ومالية كبيرة شأنها فى ذلك شأن البصرة والكوفة فهذه القدرات إذا ضم إليها دهاء معاوية ومكره خاصـة وإنّ عمرو بن العـاص إلى جنبه وهو من دهاة العرب، فبُعـد أمير المؤمنين عليه السـلام عن مركز نفوذهم يعنى تعريض أمن الـدولة للخطر الشديد، وأما وجوده عليه السلام بالقرب منه فإنه يحجم من تحرك معاوية ويمكن معه الإسراع فى القضاء عليه.

أوضاع الشام

كان توجه أمير المؤمنين عليه السـلام إلى الكوفة وتأمير قيس بن سعد رضوان الله عليه على مصر مقلقاً لمعاوية مما دعاه لاتخاذ تدابير أمنية شديدة خشية تعرض سلطته للخطر.

كان معاوية يدرك حراجة الموقف ذلك لأن أمير المؤمنين عليه السـلام يعدّ وجود معاوية فى السلطة خطراً يهدد المصلحة العليا للإسلام، وهو يعلم أنّ أمير المؤمنين عليه

السلام لا يداهن فى دينه وهذا، يعنى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لن يتوانى فى القضاء عليه.

وكان على معاويـة أنّ يتخـذ جملة من التدابير لضـمان الوضع الداخلى فى الشام للتمكن من التصدى لأمير المؤمنين عليه السـلام فيما إذا زحف إليه بأهل الكوفة، ومن تلك التدابير:

1 _ ضـمان ولاء زعماء القبائل، لأن للزعامات القبليـة دوراً مهماً فى تحديد ولاءات القبيلة السياسـية، وكان معاوية ولمدّة طويلة من الزمن يعمل على كسب ولاء الزعامات القبليـة عن طريق تخصيصـهم بالهدايا والأعطيات وتمييزهم على سواهم متبعاً فى العطاء سياسـية التمييز الطبقى والقومى مما ضمن ولاء زعامات القبائل العربية التى سكنت الشام.

2 _ ضمان الولاء الجماهيرى وفى سبيل تحقيقه سلك سبيلين:

أ _ استغلال دم عثمان استغلالاً جيداً لكسب ولاء الجماهير الشامية.

ب _ بذل الأموال وكسب العواطف.

3_ توفير الغطاء الشـرعى لحركته السياسـية، ووفَّر هذا الغطاء باسـتمالة بعض الشخصـيات الاجتماعية المهمة فى الشام بالإضافة إلى شرائه مواقف جماعة ممن عاصـر النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم كأبى هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شـعبة والنعمان بن بشـير الأنصارى وبعض أبناء الشخصيات القرشية كعبد الرحمن بن أبى بكر وعبيد الله بن عمر وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد.

4_ إغلاق الشام إعلامياً بحيث لا ينتشر فى الشام من الأنباء إلاّ ما يخدم مصالح معاوية.

ما قبل صفين

من أولويات سياسة أمير المؤمنين عليه السلام حقن دماء المسلمين والتحرز عن سفكها ما أمكن ذلک، ولهذا لم يعاجل معاوية ولم يعلن الحرب سريعاً، بل أرسل إليه الوفود والشخصيات السياسية لإقناعه لترک تعنته والدخول فيما دخلت فيه الأمة، ولكن معاوية وبسبب رغبته الشديدة فی حفظ موقعه الذی سيؤهله فيما بعد ليكون الحاكم العام لبلاد المسلمين واحتوائه على الشام بكل مقدراتها العسكرية والمالية قرر عدم الاستجابة لطلب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان معاوية فی سبيل ضمان وقوف الشاميين إلى جنبه إلى النهاية يُمنّی قادتهم ويعدهم أنّ لهم الزلفی والمنزلة العليا إن تمكن من دفع غائلة الجيش الكوفی، وقد عملت تلک الوعود عملها فی زعماء القبائل مما دفعهم للوقوف مع معاوية إلى النهاية.

وبعد يأس أمير المؤمنين عليه السلام من استجابة معاوية على الرغم من كثرة المراسلات والوفود قرر اللجوء للخيار العسكری.

كان إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام فی الكوفة الكثير من الأنصار والمهاجرين وشخصياتهم المهمة وأرسل إلى من لم يكن منهم فی الكوفة فالتحق به عبد الله بن عباس ومؤمنو البصرة، كما التحق به قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج بعد أنّ نصب محمد بن أبی بكر رضوان الله علی_ه بدلاً عنه والياً على مصر، وسبب هذا التغيير الإداری كون سعد رضوان الله علی_ه زعيماً للأنصار وفی أيام الحرب يكون وجود زعيم القبيلة مهماً جداً، فكان وجود سعد رضوان الله عليه إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام مهماً جداً لسببين مهمين:

الأول: الحفاظ على معنوية الأنصار وهم يرون زعيمهم القبلی إلى جنبهم، والثانی: ما يتمتع به قيس رضوان الله عليه من همة عالية وفكر ثاقب.

حاول بعض المؤرخين تشويه هـذه الحقيقة مدعياً أنّ السـبب الحقيقى وراء عزل قيس رضوان الله عليه خشـية أمير المؤمنين عليه السـلام من تواطئه مع معاويـة ورفضه الاسـتجابة لقتال أهل خربتا الذين لـم يدخلوا فى بيعة أمير المؤمنين عليه السـلام مع التزامهم بكل ماتفرضـه عليهم حقوق المواطنة، ولكن هذه الدعوى باطلة لأن سـياسة أمير المؤمنين عليه السـلام كانت تبتنى على حفظ حق المواطن ما دام ملتزماً بواجباته ولـم يخل بأمن البلد، وهذه المنهجية كان يتبعها عليه السـلام مع الخوارج مع انسلاخهم عن بيعته واتهامهم إياه بالكفر فلم يهجهم بشىء، بل حتى لما تجمعوا لم يسر إليهم حتى سفكوا الدماء واستحلوا الحرمات.

وبعـد إن تمت الاسـتعدادات العسـكرية توجه أمير المؤمنين عليه السـلام بجيشه إلى الشام، وفى المقابل قام معاويـة بتجهيز قواته للتصدى لأمير المؤمنين عليه السلام.

معركة صفين

بعد أن يأس أمير المؤمنين عليه السـلام من اسـتجابة معاوية لدعوته فى ترك التعنت والإنابة إلى الحق قاد جحافل الكوفة والبصـرة ومن كان معه من الأنصار والمهاجرين وتوجه إلى الشام، وفى الوقت نفسـه قاد معاوية عساكر الشام لخوض غمار الحرب ضد الجيش العراقى.

وكان الموعد فى صـفين وهناك ظهر جلياً الفرق بين القيادتين والجيشـين، حيث كان معاوية أمر أصـحابه بعد إن ملكوا المشـرعة أن يمنعوا جيش الكوفة من شـرب الماء، بينما امر أمير المؤمنين عليه السـلام أصـحابه بعد إن ملكوا المشرعة بعد حرب دامية أن لا يمنعوا أهل الشام من ورود الماء، وكان أمير المؤمنين عليه السـلام يدعوا القوم إلى الطاعة على الأسـس التى بُنى عليها الإسـلام، فى الوقت الذى كان معاوية يصر على الحرب إلاّ فى حال حصول أمرين:

الأول:دفع المتهمين بقتل عثمان إلى أهل الشام ليقتلوا.

والثانى:اعتزال أمير المؤمنين عليه السلام الحكم وترك الأمر شورى للأمة تختار من شاءت.

ومعاوية يعلم أنّ كلا الأمرين لا يمكن أن ينفذ لأن الأول يعنى دفع من لم تقم عليه البينة إلى معاوية الذى لم يراع طرائق المطالبة المشروعة فى القضاء الإسلامى للطلب بالقصاص بل نصّب نفسه للحكم مع عدم الأهلية، والثانى يعنى الاستهانة بالأمة التى أجمعت على بيعة أمير المؤمنين عليه السلام وهم أهل المدينة والبصرة والكوفة ومصر وباقى أمصار الدولة الإسلامية سوى الشام(1).

وكان أهل الكوفة يعلمون أنّ الغاية الأساسية لمعاوية لم تكن طلب دم عثمان(2)

1- روى الطبرى فى تاريخه ج 4 ص 3: (أن معاوية بعث إلى على حبيب بن مسلمة الفهرى وشرحبيل بن السمط ومعن بن يزيد بن الأخنس فدخلوا عليه وأنا عنده فحمد الله حبيب وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإنّ عثمان بن عفان رضى الله عنه كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله عز وجل وينيب إلى أمر الله تعالى فاستثقلتم حياته واستبطأتم وفاته فعدوتم عليه فقتلتموه رضى الله عنه فادفع إلينا قتلة عثمان إن زعمت أنك لم تقتله نقتلهم به ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم يولى الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم فقال له على بن أبى طالب وما أنت لا أم لك والعزل وهذا الأمر، اسكت فإنك لست هناك ولا بأهل له، فقام وقال له والله لترينى بحيث تكره فقال على وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك لا أبقى الله عليك إن أبقيت على أحقره وسوءا اذهب فصوب وصعد ما بدا لك).

2- روى الطبرى فى تاريخه فى ج4 ص12: (أن يزيد بن قيس الأرحبى حرض الناس فقال إن المسلم السليم من سلم دينه ورأيه وإن هؤلاء القوم والله إن يقاتلوننا على إقامة دين رأونا ضيعناه وإحياء حق رأونا أمتناه وإن يقاتلوننا إلا على هذه الدنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكاً فلو ظهروا عليكم لا أراهم الله ظهوراً ولا سروراً لزموكم بمثل سعيد والوليد وعبد الله بن عامر السفيه الضال يجيز أحدهم فى مجلسه بمثل ديته ودية أبيه وجده يقول هذا لى ولا إثم على كأنما أعطى تراثه عن أبيه وأمه وإنما هو مال الله عز وجل أفاءه علينا بأسيافنا وأرماحنا فقاتلوا عباد الله القوم الظالمين الحاكمين بغير ما أنزل الله ولا يأخذكم فى جهادهم لوم لائم فإنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم وهم من قد عرفتم وخبرتم وايم الله ما ازدادوا إلى يومهم هذا إلا شراً).

بل البقاء فى السلطة وكشفت الأيام هذه الحقيقة إذ بعد استتباب الأمر لمعاوية ترک الحديث عن عثمان ودمه.

وفى الوقت الذى كان فى جيش أمير المؤمنين عليه السـلام خيرة من عاصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وخيار التابعين كعمار بن ياسر وهاشم المرقال وسعد بن قيس بن عبادة وعدى بن حاتم الطائى ومالک الأشتر وكميل بن زياد الذين حملوا راية الدفاع عن المظلوم والوقوف فى وجه الظالم ومن له أثر حسن فى تاريخ الإسلام، كان فى جيش معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعبيد الله بن عمر بن الخطاب والنعمان بن بشير وأضرابهم الذين يمكن لمن تتبع تأريخهم الشخصى والعائلى يقف على الكثير من الخفايا التى حاولت التوجهات السياسية التغطية عليها وتنصيع الصور وتلميعها.

وفى الوقت الذى كانت دلائل الحق كلها إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام كان أتباع جيش معاوية يأنسون بالتأويلات غير المقبولة التى كان يقدمها لهم معاوية كما حصل عند شهادة عمار لما ادعى أنّ قاتله من أخرجه للحرب لا مَن قتله بعد أن تشوّش الجيش الشامى لانتشار الرواية عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنّ عمار تقتله الفئة الباغية.

وبعد ان اصطف الجيشان وتبودلت الرسل بين الطرفين لم يبق بد من الخيار المسلح بعد أن وصل الحل السلمى إلى طريق مسدود, واندلعت الحرب بين الطرفين ودامت أشهراً عدّة إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام يسعى أن لا تستأصل قوات

الطرفين لـذا كـان المناوشـات بين أفواج من العسـكرين لاـ بين العسـكرين بتمام قوتهما حتى ليلـة الهرير التى التحم فيها الجيشان بكامل قدراتهما العسـكرية وأخذت بشارات النصر بزوال طاغية الشام تلوح فى الأفق وأدرک معاوية قرب نهايته فأعد فرسه للهرب وفى الليلة ذاتها دعا أمير المؤمنين عليه السلام معاوية للمبارزة حقناً لدماء الناس فأبى أن يستجيب له خوفاً على نفسه من القتل.

وفى هذه اللحظة العصـيبة من تاريخ جيش الشام دبر ذهن عمرو بن العاص الشيطانى فكرة رفع المصاحف التى أوقعت الخلاف فى صفوف الجيش الكوفى.

كان لرفع المصاحف أثر مهم فى الإبقاء على معاوية وحزبه حيث اسـتجاب لهم جمع كبير من الجيش الكوفى الذين انطلت عليهم الحيلة وظنوا أنّ أهل الشام يريدون حقاً التحاكم إلى القرآن الكريم، وحاول أمير المؤمنين عليه السـلام وذوو البصائر من أصـحابه ردع أهل الكوفة عما توهموه لمنع انطلاء الخدعـة عليهم، إلا أنهم لما كانت الحرب قـد عظتهم وفقـدوا العديد من رجالاتهم المهمين حاولوا التخلص من لهيب الحرب به_ذه الطريقـة فأكرهوا أمير المؤمنين عليه السـلام على قبول التحكيم وجردوا السـيوف فى وجهه وهـددوا بترک المعسـكر أو تسليمه إلى معاوية فاضطر عليه السلام للاستجابة إلى مطاليبهم خوفاً من وقوع الفتنة والحرب فى صفوف أهل الكوفة.

ولـم تكتف العناصـر الكوفيـة ذات التوجهـات والنزعـات المناوئـة لأـمير المؤمنين عليه السـلام من أكرهه على وقف الحرب بل اسـتمرت الضـغوط بعد ذلک بشـكل أكبر مما أدّى إلى إضـعاف الموقف السياسـى للكوفيين،وكان من المقرر تعيين الحكمين الذين سـيوكل إليهما تقرير أمور الحكومـة والصـلح فاختـار معاويـة عمرو بن العاص وأراد أمير المؤمنين عليه السـلام أن يجعل عبـد الله بن عباس ممثلاً لأهل الكوفة، فأبى المنحرفون عن أمير المؤمنين عليه السلام ذلک ورشحوا أبا موسى الأشـعرى أحد أبرز المخالفين لأمير

المؤمنين عليه السلام ليكون ممثلاً عنهم ورفض أمير المؤمنين عليه السلام اقتراحهم وطلب أن يكون الأشتر ممثلاً عنهم فرفضوا ذلك أيضاً، وهكذا كان القرار الكوفى مستقلاً عن أمير المؤمنين عليه السلام فى الوقت الذى كان القرار الشامى لا يخرج عن رأى معاوية ويعود ذلك لأسباب موضوعية تتعلق بتاريخ الكوفة والشام وعلاقتهما مع الولاة حيث كان معاوية قد أمضى فى الشام عشرين عاماً والياً عليها من قبل الحكام الثلاثة ووسع عثمان سلطته لتعم الشام بأجمعه، وكان الوحيد من ولاة عمر الذى لم تناله قراراته التى كان يهدف من خلالها للسيطرة على الولاة ومنع تمتعهم بالقدرة التى من شأنها أن تؤهلهم للتمرد والعصيان، فمدّة الحكم الطويلة وفسح المجال له للتصرف كيف شاء فى أمور ولايته مهد له سبل تمتين العلاقات مع زعماء القبائل والشخصيات الاجتماعية، وكانت الأموال التى تُجبى إليه من ولاية الشام الغنية عاملاً مهماً فى توطيد تلك العلاقات، حتى إنّه لما أراد أن يخوض الحرب ضد أمير المؤمنين عليه السلام لم يواجه مشكلة حيث كانت الزعامات القبلية الشامية على وفاق تام مع معاوى_ة، كما أنّ الجهاز الإعلامى فى الشام كان خاضعاً له تماماً، وكان قد سعى جاداً لمنع أى نشاط إعلامى فى الشام لايرتبط به لذلك كان كلما أنفذ إليه عثمان أحد المعترضين على سلطانه يسارع فى الكتابة إلى عثمان طالباً منه إبعاده عن الشام لئلا يفسد الناس عليه كما حصل مع أبى ذر الغفارى رضوان الله عليه وشخصيات الكوفة الذين نفاهم عثمان إلى الشام بطلب من سعيد بن العاص.

وعمد معاوية إلى العامل النفسى فى تبرير خوض الحرب حيث ادعى قتل عثمان ظلماً وهو ولى دمه ويريد أن يقتص لدمه وأنّ قاتله أمير المؤمنين عليه السلام فعلق قميصه على منبر مسجد دمشق وحشد وعاظ البلاط لدعوة الناس للبكاء على عثمان والطلب بثأره، ثم عزز موقفه الإعلامى بدعوة شرحبيل بن السمط الكندى أحد

الشخصيات الشامية المرموقة ذات الأصل اليمنى للوقوف إلى جنبه ودعوة الناس لقتال أمير المؤمنين عليه السلام فأجابه إلى ما أراد.

فمعاوية كان قد ضمن الوضع العسكرى والسياسى والمالى والاجتماعى فى الشام.

ولهذه لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام هذه المرة أمام عدو ضعيف ليست له جذور ممتدة فى المنطقة التى يريد الانطلاق منه_ا لخوض الحرب ضده، كما هوالحال فى الناكثين، كما أنّ معاوية لدهائه ومكره ضَمَّ إلى جنبه جملة من دهاة العرب أحدهم الداهية المعروف عمرو بن العاص.

وأمّا أهل الكوفة فالأمر فيهم مختلف تماماً حيث لم تعش الكوفة وضعاً مستقراً مع الولاة فأول ولاتها سعد بن أبى وقاص الذى طالب الكوفيون عمر بعزله وعمار بن ياسر الذى أبلغ أهل الكوفة عمر بنشره فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والدعوة اليه، وأنّه الأولى بشؤون المسلمين من كل أحد فساء ذلک عمر فعزله، ثم نصب أبا موسى الأشعرى فطلب الكوفيون عزله لأنه يتلاعب بالكلأ فيبيعه ويستخلص المال لنفسه مع أنه مباح للجميع فعزله ونصب المغيرة بن شعبة عاملاً عليها، فقتل عمر وهو عليها _ على الرغم من قصة زناه بإم جميل أيام ولايته البصرة _ ثم ولاها عثمان الوليد الفاسق فساءت سياسته أهلها حتى نزعوا خاتمه من يده فى صلاة الصبح وهو ثمل وقد قاء الخمر فى محراب المسجد فشكوه إلى عثمان فلم يسمع قولهم وأراد إيقاع العقوبة بهم فتدخل أمير المؤمنين عليه السلام وأمره بعزل الوليد وإقامة الحد عليه فاضطر عثمان تحت ضغوط أمير المؤمنين عليه الس_لام والشخصيات المدنية إلى عزله ونصب سعيداً بن العاص الذى جرت مشادات كلامية بينه وبين سراة الكوفة وزعمائها القبليين فطلب سعيد من عثمان أن ينفيهم عن الكوفة، فنفاهم إلى الشام وهناک خشى معاوية أن

يؤثروا فى الناس بسبب تعريضهم بسياسة التمييز العنصرى التى يتبعها بنو أمية فنفاهم إلى قنسرين حيث عبد الرحمن بن خالد بن الوليد الذى أساء إليهم كثيراً فتركوا المنفى ورجعوا إلى الكوفة وحرضوا الناس على سعيد.

وفيها تحركت وفود الاستنكار من الكوفة والبصرة ومصر مطالبة بإصلاح اوضاع الدولة وكان سعيد بن العاص ممن دعاهم عثمان لمناقشة كيفية التصدى للتحرك الجماهيرى فقرر أهل الكوفة عزل سعيد ونصب أبى موسى عاملاً على الكوفة.

ومن هنا نجد أنّ الشخصية الكوفية كانت لا تتمتع بانسجام مع الولاة وكان عمر بن الخطاب يدرك هذه الحقيقة لذلك كلما شكوا عاملاً من عماله عزله عنهم مِن دون أن ينظر فى صحة دعواهم، وهذه الحقيقة أدركها معاوية بن أبى سفيان لذلك أوصى لولده يزيد أن يستجيب لطلب أهل الكوفة فى عزل الولاة فلو طلبوا منه فى كل يوم عزل وال لَفعل.

فعلى طيلة عشرين سنة من تأسيس الكوفة اعتاد الكوفيون على نقد الولاة والتعريض بهم وعزلهم مما أوجد فجوة شديدة بين الوالى والرعية وحالة من فقدان الثقة بالولاة.

كما كان لأهل الكوفة اتجاهات مختلفة ولدتها السياسات السابقة على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فبعضهم يرى الولاء لعمر بن الخطاب والسير على نهجه حتى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما أراد إلغاء بدعة الجماعة فى التراويح تنادى الناس واسنة عمراه، والبعض الآخر من الذين كانت تربطهم بحكومتى عمر وعثمان مصالح خاصة نشأت عن التمييز العنصرى الذى أوجده عمر وسارعليه عثمان والغاه أمير المؤمنين عليه السلام فكان ذلك سبباً فى ضياع امتيازات كانوا يتمتعون بها فى تلك العهود فأوجد ذلك فى قرارة أنفسهم معارضة لحكم أمير المؤمنين عليه السلام وكان جل

المتضررين من عدل أمير المؤمنين عليه السلام الزعامات القبلية ذات النزعات الفئوية والشخصية.

وعلى العكس من هؤلاء كان هناك أُناس قـد ملأ الإيمان قلوبهم فكان كل ما يصـبون إليه أن تعلو راية الدين الحنيف وان كان ذلک مضـراً بمصالحه_م الدنيوية الآنية ومن أبرز تلک الشخصـيات مالک الأشتر وحجر بن عدى وميثم التمار وكميل بن زياد وزيد بن صوحان العبدى رضوان الله عليهم.

قصة الحكمين

التقى الوفدان فى المدة المقررة، وكان الوفد الشامى متماسـكاً تظهر قوة التراص بين أفراده، بينما كان الوفد الكوفى متزعزعاً لا يسـتطيع موفد أمير المؤمنين عليه السـلام أن يتخذ قراراً ولا أن يبعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً إلاّ وأصرّ الكوفيون على الإطلاع على كل صغيرة وكبيرة فيه مما ادى إلى إرباک وضع الوفد الكوفى و إفشاء أسراره، وكل ذلک سببته العوامل التى تقدم ذكرها.

وبعدها اجتمع ممثل الكوفة الأشـعرى مع داهية قريش عمرو بن العاص السهمى، واتفقا على عزل أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية وترک الأمر شورى تختار الأمة من تشاء.

وأراد أبو موسـى من عمرو أن يتقـدم ويرقى المنبر ليخبر الناس بذلک ثم يتبعه هو، وكان ابن عباس قد أوصـى أبا موسـى أن لا يتقدم عمرواً، ولكن الأخير خادعه ورفض أن يتقدمه رعاية لسنه وصحبته.

انطلت الحيلة على أبى موسـى الأشـعرى، وأخبر الناس بخلعه لأمير المؤمنين عليه السلام ثم صعد عمرواً المنبر وأخبر الناس أنه خلع أمير المؤمنين عليه السلام وأقرّ معاوية

على الخلافة فسبه أبو موسى وتضارب الفريقان وتجادلا.

وهكذا انتهى اللقاء بين الفريقين مِن دون أن يسفر عن أية نتائج إيجابية، لكن كان له وقع كوقع الصاعقةعلى رؤوس أهل الكوفة الذين علموا بفعلة ابن العاص إنهم كانوا من الغباء بالدرجة التى ضيعوا على أنفسهم فرصة ذهبية فى صفين.

وهكذا عاد الكوفيون يمزقهم الألم مع شعور كبير بالخيبة والانكسار وأثّرت النكبة تأثيراً سلبياً فى الجهلة الذين شهروا سيوفهم ضد أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين فعادوا إلى الكوفة يطالبون نقض الهدنة ومباشرةالحرب فوراً.

وكان طلبهم هذا يدل على جهلهم المركب حيث أنّ الهدنة حدد لها زمن معين ولم تعلق على شىء، وعدم وصول الحكمين إلى نتيجة لا يعنى أنّ الهدنة قد نقض شرطها، فرفض أمير المؤمنين عليه السلام طلبهم، فخرجوا يدعون الناس لتكفير أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية.

معركة النهروان

استمالت دعوة المارقين جملة الجهلة الذين يعملون بحسب قناعاتهم التى لا يمر زمن قصير حتى يثبت لهم بطلانها.

لم يشأ أمير المؤمنين عليه السلام التعرض لهم اتباعاً لمنهجه عليه الس_لام فى رعاية الحرية السياسية فما دام القوم يحترمون سيادة الدولة ولم يرتكبوا جنايات ومخالفات قانونية فلا مسوّغ لإهاجتهم.

وتصرمت أيام الهدنة ولم يبق منها إلاّ أيام يسيرة فدعا أمير المؤمنين عليه السلام الناس للتهيؤ لغزو الشام، وبعث مالك الأش_تر رضوان الله عليه إلى مصر ليكون والياً عليها، وعلم معاوية ببعث مالكاً رضوان الله عليه لمصر فأقلقه ذلك كثيراً لأنه

سيحاصر من الجانبين، وفكر وأصحابه بإرسال قوة عسكرية للقضاء على مالک لكنهم عدلوا عن ذلک واختاروا بدل ذلک دس السم إليه.

كانت شـهادة مالک سبباً فی تفكير معاوية الجدی فی السيطرة على مصر لأن فيها محمد بن أبی بكر رضوان الله عليه الذی يمكن أن يسبب لهم مشاكـل كثيرة لو وقعت الحرب فكتب معاويـة لأهـل خربتـا فأجـابوه باسـتعدادهم لخوض الحرب معه، فبعث بقوات يقودها عمرو بن العاص، وكاتب محمـد رضوان الله عليه أمير المؤمنين عليه السـلام يخبره بمجريات الأحداث فأخذ عليه السـلام يدعو الناس للتهيؤ لإنقاذ مصـر، لكـن قوات معاوية تمكنت من احتلال مصـر وقتل محمد رضوان الله عليه وأنصاره بسـبب إبطاء أهل الكوفة عن الاسـتجابة لأمير المؤمنين علی_ه السلام.

وبعد سقوط مصر بيد قوات ابن العاص لم يبق بد من خوض الحرب ضد معاوية بأهل العراق فأمر عليه السلام أهل الكوفة بالتهيؤ للقتال.

تهيـأ الناس وبينما هم على أهبّـة التحرک بلغهم قيام الوارج بقتل حباب بن الأرت _ عامل أمير المؤمنين عليه السـلام _ وشق بطن أمّ ولـده وقتل نساء من طیء، فبعث أمير المؤمنين عليه السلام رسولاً لمعرفة واقع الحال فقتلوه.

بعد قيام المارقين بسـفک دماء المسـلمين أصـبحوا يشـكلون خطراً حقيقاً يهدد أمن الدولة من الداخل ويشكل جبهة داخلية أشد خطراً من الشام, وهذا الخطر يجب استأصاله قبل التوجه إلى الشام.

ذهب عليه السلام بالقوات إلى النهروان وبعث الوفود إلى القوم يدعوهم إلى التوبة والرشد وتسليم القتلة وترک الشقاق، ورفع راية أمان وأمن من عاد إلى الكوفة أو توجه إلى المدائن وترک العسـكر، فتفرق أكثر الناس بعد أن احتج عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه وأمنوهم إلاّ من أفسد فی الأرض منهم، وبقی عدة منهم رفضوا

الإثابـة إلى الرشـد فوقعت الحرب بينهم وبين الطرفين فقضـى عليهم ولـم يبق منهم إلاّ عدد قليل فروا هاربين، ليقوموا بعد ذلک بإثارة الفتن حيثما وجـدوا مما سـبب إرباكاً لدولة أمير المؤمنين عليه السـلام حيث أنّه كان يضـطر بين آونة وأخرى لإرسال قوات تطارد المفسدين من المارقين(1).

عاد أمير المؤمنين عليه السـلام من النهروان وأمر المقاتلة بالتجمع بالنخيلة وأن لا يدخلوا الكوفة حتى يزحفوا إلى الشام وبعث إلى عبد الله بن عباس ان يلتحق به بقوات من البصرة.

أوضاع الدولة بعد سقوط مصر

كان سقوط مصر بيد معاوية سبب لتغير الخارطة السياسية والعامل النفسى للكوفيين والشاميين فى آن واحد.

وكـان معاويـة يعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السـلام لن يتركه وشـأنه، لـذا حاول إشـغال أمير المؤمنين عليه السـلام بالفتن الداخليـة وإثارة المشاكل فى أطراف الدولة التى ما تزال تحت سلطة أمير المؤمنين عليه السلام.

1- للترابط فى الحقبة الزمنية بين واقعة صـفين والنهروان جعلت مصادرهما معاً. كتاب سليم بن قيس ص 334، مناقب أمير المؤمنين عليه السلام ج 2ص 352، ا لعمدة ص329، 5، الروضة فى المعجزات والفضائل ص 159، الصراط المستقيم ج 1ص 164، عوالى اللئالى ج 1ص 412، وصول الأخيـار إلى أصول الأخبار ص 78، كتاب الأربعين ص421، حلية الأبرار ج 2 ص 178، بحار الأنوار 23 ص 459، شجرة طوبى ج 2ص 338، الغدير ج 2ص 146، نهج السعادة ج 8ص 473، الإمام على عليه السلام ص 719، مواقف الشيعة ج1ص 164، المعيار والموازنـة ص 310، شـرح نهج البلاغةج 10ص 229، أنساب الأشـراف ص 318، تار يـخ الطبرى ج 4 ص 10، البداية والنهاية ج 7 ص 281، تاريـخ ابن خلدون ق2 ج 2ص 168، وقعة صـفين- ابن مزاحم المنقرى، الإمامة والسـياسة ج1 ص113، سبل الهـدى والرشاد ج 10ص 14، النصائـح الكافية ص 205، حياة الإمام الحسـين عليه السـلام ج 2 ص 65، الصـحيح من السيرة ج 2ص 155.

فأرسل معاويـة الجزار بسـر بن أرطأة فى قوة مسـلحة لإرباك الوضع الأمنى فى اليمن والحجاز، فعاث الأخير فى الأرض فساداً وقتل ولدين لعبيد الله بن العباس وقتل من أهلها من قتل ثم توجه إلى مكة والمدينة والطائف ولقى أبا موسى الأشعرى ولم يتعرض له بسوء لانحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفى المدينة نصب أبا هريرة إماماً للجماعة فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان إذا لقى شخصاً يوالى أمير المؤمنين عليه السلام قتله مهما كان شأنه.

بلغ أمير المؤمنين عليه السـلام جرائم قوات معاوية فى جزيرة العرب واليمن فأرسل قوة عسـكرية من الكوفة لصدها فلما علم بها بسـر عاد إلى الشام وفر أبو هريرة.

وانـدلعت فتنة للخوارج فأرسل عليه السـلام قوة لإخمادها، وأرسل معاوية قوة فأغارت على الأنبار والبصـرة وغيرها من المناطق التى يمكن لعصاباته أن تصل إليها، ومما زاد فى إرباك الأوضاع ترك عبد الله بن عباس عمله واصطحابه لأموال بيت مال البصرة، فكان لفعله أثر سلبى على الناس بالإضافة إلى حرمان بيت مال أمير المؤمنين عليه السـلام من المال الذى كان بحاجة إليه بسـبب ظروف الحرب التى كانت بينه وبين معاوية.

وكل ذلک لم يجعل أمير المؤمنين عليه السـلام يغفل عن العدو الأساسـى لذا كان عليه السـلام يدعو الناس للإسـراع بالتجهز للتوجه إلى الشام.

وبدلاً من اسـتجابة أهل الكوفة لدعوة أمير المؤمنين عليه السـلام لما فيه ضـمان المصـلحة العامة للدولة الإسلامية كانوا يقابلونه بالتكاسل والتوانى حتى أظهر الشكوى منهم، وبعد تأكيد وإلحاح شديد منه استجاب بعض أهل الكوفة وتوجهوا إلى النخلية وكان عليه السلام أرسل بعض ولده إليها لإعداد القوات للتحرک نحو الشام لأن انتهاء تلک الفتن مرهون بالقضاء على معاوية.

وشاء القدر أن يغتال المارقون أمير المؤمنين عليه السلام فى مسجد الكوفة فجر التاسع عشر من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة لتنطوى تلك الصفحة المشرقة من الإخلاص والعبادة والزهد والتقى، مِن دون أن يتمكن عليه السلام من تحقيق ما كان يصبو إليه من قطع دابر الفساد، فغادر عليه السلام الدنيا يوم الحادى والعشرين من شهر رمضان.

الأوضاع السياسية فى خلافة الإمام الحسن عليه السلام

بعد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام بايع أهل الكوفة الإمام الحسن عليه السلام.وفى الكوفة كانت هناك ثلاث قوى سياسية مهمة ومؤثرة:

أ ـ الشيعة وعلى رأسهم قبيلتى ربيعة وهمدان اللتان كان لهما بلاءً حسناً إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام فى جميع المعارك التى خاضها.

ب ـ الخوارج، وهم وإن كانوا لا يؤمنون بإمامة أهل البيت عليهم السلام ويُعدّون من اعدائهم ولكنهم يَعدّون معاوية عدواً مشتركاً.

ج ـ الزعامات القبلية، ذات المطامع الشخصية والنظرة المحدودة للواقع السياسى.

وعلى هذا التقسيم للواقع السياسى فى الكوفة فالراغبين فى قتال معاوية ليس إلاّ الشيعة والخوارج، والشيعة لا يزيدون على سبع أهل الكوفة أما الخوارج فعددهم ليس بذى بال.

والمشكلة الأهم فى حركة الإمام الحسن عليه السلام السياسية والعسكرية قوة احتمال حصول مؤامرة يتفق فيها زعماء القبائل الكوفية مع معاوية فى سبيل ضمان مصالحهم الخاصة وتجنب الحرب، وقد تحقق هذا الاحتمال إذ بعث معاوية إلى الزعامات القبلية فى الكوفة يدعوهم إلى قتل الإمام الحسن عليه السلام مقابل وعود

بهبات مغرية، وبلغ الإمام الحسن عليه السلام محاولة معاوية تجاه الزعامات الكوفية، ولم يكن عليه السلام قادراً على اتخاذ موقف حدى تجاه تلك الزعامات لأنه سيؤدى إلى وقوع حرب أهلية داخل الكوفة يذهب الشيعة ضحيته_ا لذا اكتفى صلوات الله عليه بفضح مخطط معاوية وتحذير رؤساء القبائل من مغبة ركضهم وراء معاوية، ولم يكتف معاوية بذلك بل أرسل إلى كل من الكوفة والبصرة واحد من جواسيسه المعتمدين فأمر الإمام الحسن عليه السلام بإلقاء القبض عليهما وإعدامهما فى الملأ العام، وكان لهذا العمل دوره المهم فى تحجيم حركة النفاق والجاسوسية لمعاوية داخل هاتين الولايتين المهمتين(1).

كان معاوية مصراً على المضى فى خطته فى السيطرة على الكوفة ليتمكن بذلك من بسط سلطته على كل بقاع البلاد الإسلامية خاصة بعد أن خضعت له غرب البلاد الإسلامية بعد سقوط مصر، فكان يبعث بالسرايا للتخريب والقتل وسفك الدماء البريئة.

وفى الكوفة كانت الرغبة فى الركون إلى الدعة والسلامة هَم معظم الزعامات القبلية شريطة ضمان مصالحهم ومواقعهم السياسية، وكانت سياسة معاوية من شأنها أن توفر لتلك الزعامات رغباتها إذ سيرته مبنية على التمييز العنصرى والطبقى، وفى سبيل تحقيق الزعماء لهذه الأمنيات كتبوا إلى معاوية يبدون استعدادهم لتسليم الإمام

1- علل الشرائع ج1 ص220، باب 160 السبب الداعى للحسن صلوات الله عليه إلى موادعة معاوية، مقاتل الطالبيين - أبو الفرج الاصفهانى ص41، الإرشاد ج2 ص11، بحار الأنوار ج44 ص27، ج44 ص33 (كيفية مصالحة الحسن بن على صلوات الله عليهما معاوية عليه اللعنة وما جرى بينهما قبل ذلك)، مستدرک سفينة البحار ج5 ص334، أحاديث أم المؤمنين عائشة ج1 ص320، شرح نهج البلاغة - ابن أبى الحديد ج16 ص25، تاريخ اليعقوبى ج2 ص213، تنزيه الأنبياء- الشريف المرتضى ص221، كشف الغمة ج2 ص162، صلح الإمام الحسن عليه السلام - آل ياسين، الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام _ العاملى، تاريخ دمشق ج1 ص261 وما بعدها.

الحسن عليه السلام إن وقعت الحرب، وكانت هذه المراسلات بعد أن أصدر الإمام الحسن عليه السلام أمره للقوات الكوفية بالتجمع فى النخيلة للتصدى لقوات معاوية التى أقبل بها نحو العراق.

علم الإمام الحسن عليه السلام بالمؤامرة التى من شأنها إن حدثت أن تؤدى إلى مسألتين غاية فى الأهمية:

الأولى: القضاء على أهل البيت عليهم السلام لأنهم أمّا أن يقتلوا أو يُؤسروا وإن أسروا أمّا ان يقوم معاوية بقتلهم أو بإطلاق سراحهم مناً عليهم وكل هذه الإحتمالات من الناحية السياسية تضر بهم.

والثانية: إنّ هذه المحاولة من الزعامات الكوفية تعنى أنهم سيكونون مع القوات الشامية يداً واحدة على الشيعة، وهذا يعنى القضاء التام على الشيعة واستأصالهم بالإضافة إلى ما سيؤديه وقوع الحرب الأهلية بين الكوفيين مما من شأنه أن يدعم سلطان بنى أمية على الأمد البعيد بسبب ضعف المعسكر الكوفى نتيجة الصراع الداخلى.

وفى هذه الظروف الحرجة لم يكن أمام الإمام الحسن عليه السلام سوى الخروج من المأزق الذى يعيشه مع شيعته بالنحو الذى يضمن المصالح العليا للإسلام والمؤمنين.

ولكى يحقق الإمام الحسن عليه السلام الحفاظ على المصالح العليا كان عليه أن يُظهر استعداده التام للتصدى لمعاوية لاجباره على الخضوع لشروطه لأن معاوية طالب دنيا وهو راغب فى الوصول إلى غاياته بأقل خسارة ممكنة لأن جل اعتماد معاوية على المعسكر الشامى وهو يريد الحفاظ على قدرته القتالية وعدده وعدته لإدارة البلاد.

أرسل الإمام الحسن عليه السلام كتائباً من أهل الكوفة لتكون مقدمة لجيشه الذى يسخوض الحرب ضد معاوية، وكان كلما أرسل قوة عسكرية كاتب معاوية قائدها وأغراه بالمال وبين له مواقف زعماء الكوفة ومراسلاتهم الخفية، فيترك ذلک

القائـد معسـكر الإمـام الحسن عليه السـلام ليلتحق بمعاويـة، وكان آخر من ارتكب تلك الخيانـة الفضـيعة عبيـد الله بن عباس الـذى من المفروض أن تكون أمامه جملة من الأمور المانعة عن ارتكاب مثل هذه الخيانة العظمى فهو ابن عم أمير المؤمنين عليه السـلام وسبق لبسر بن أرطاة أن قتل له ولدين فى اليمن، إلاّ أنّ هذه العوامل لم تمنع من ارتكابه الخيانة العظمى لله ولدينه ولإمامه.

كانت مجريات الأحداث تكشف أنّ نتائج الحرب لو وقعت لن تكون لصالح الإمام الحسن عليه السـلام وأحسّ الخوارج أن لا أمل لهم فى خوض الحرب ضد معاوية من معسكر الإمام الحسن عليه السلام فقرروا اغتيال الإمام عليه السلام.

تعرض الإمـام الحسن عليه السـلام لمحاولتى اغتيال، الأولى أثناء أدائه للصـلاة إذ رمى بسـهم لم يؤثر فيه لأنه ومنـذ بلغه مكاتبـة زعماء الكوفة معاوية كان محتاطاً لنفسه فكان متدرعاً دائماً خاصة وقت الصلاة التى يسهل فيها عملية الاغتيال بسبب الانشغال بالعبادة والمناجاة، والثانية فى مظلم ساباط فى المدائن عندما طعنه أحد الخوارج بمغول فى فخـذه وفى رواية فى خاصـرته وجرح جرحاً بليغاً اضطر معه للبقاء عدة أيام تحت الرعاية الطبية حتى تماثل للشفاء.

بعد الأحداث المريرة التى عاشها معسكر الإمام الحسن عليه السلام كاتبه معاوية لإجراء الصلح وتجنب الحرب بين الفريقين، فوافق الإمام الحسن عليه السلام على ذلك بشروط لم يحفظ التاريخ منها إلاّ القليل:

(واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين عليه السـلام والعـدول عن القنوت عليه فى الصـلاة، وأن يؤمن شـيعته رضـى الله عنهم، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذى حق {منهم} حقه، فأجابه معاوية إلى ذلك كله)(1).

1- عوالم الإمام الحسن عليه السلام ص158، ارشاد المفيد قدس سره، ص172.

نتيجة البحث

مما تقدم يتضح أنّ دور الشيعة فى الحياة الإسلامية يمكن أن نشير إليه بالنقاط الآتية:

1 ـ إنّ الشيعة يمثلون خُلّص المسلمين الأوائل كأبى ذر والمقداد وعمار وسلمان الفارسى وأغلب الأنصار.

2 ـ إنّ الأمـة وخاصة بعد فتح مكة وتوسع رقعة الدولة النبوية لتمتد من البحر العربى والمحيط الهندى جنوباً والبحر الاحمر غرباً والخليج شرقاً والعراق والشام من جهة الشمال الشرقى والغربى أصبحت ذات اتجاهات سياسية متعددة:

أ ـ بعض اليمنيين وبعض أبناء جنوب الجزيرة يطمحون للاستقلال وكان على رأسهم مسيلمة وسجاح وطليحة.

ب ـ قريش وبنى أمية ومن كان ضـمن تحالفهم السياسـى كأعراب أسـلم كانوا يسعون إلى السيطرة على الحكم مع الاستفادة من مكاسب الدولة النبوية فيحافظون على امتداد الجغرافية السياسية للدولة النبوية مع عزل أمير المؤمنين عليه السلام وبنى هاشم عن السلطة.

ج ـ أمير المؤمنين عليه السـلام وشـيعته كانوا يريدون السير على النهج الذى حدّده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى حصر الخلافة فى أهل بيته فى حديث الثقلين وبيعة الغدير وغيرها من المناسـبات التى كان النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم يصـرّح فيها بأن الخلافة من بعده لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام وبنيه من بعده.

3 ـ حـاول النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم فى أخريات أيّامه أن يمنع الانقلاب على أمير المؤمنين عليه السـلام فأمر بتجهيز جيش أسامة ولكن الطامعين عصوه وعسكر الجيش فى الجرف خارج المدينة ليعود ويحتل المدينة ويضرب طوقاً من الحصار

على المسجد النبوى ومنزل أمير المؤمنين عليه السلام لتطويق تحركه السياسى قبل البيعة لمرشح قريش، وبعد أن عصوه طلب الدواة والكتف ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً فقال قائلهم إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يهجر حسبنا كتاب الله، وهكذا كان لرجالات قريش دور سلبى سيء فى حرف المسار السياسى للدولة النبوية لتحقيق الرغبات الدنيوية الزائلة.

4 _ سعى القرشيون مدّة تمكنهم من تحديد المسار السياسى عزل أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته والأنصار عن القرار السياسى، وقد تمكن القرشيون من تحجيم دور الأنصار السياسى إلى أبعد المديات فلم يحدث التاريخ عن دور مهم للأنصار فى تاريخ الثورات والحركات السياسية فى بلاد المسلمين اللهم الاّ فى ثورة المدينة ضد يزيد والتى عصفت بالموقع السياسى للأنصار وإلى الأبد، نعم لابد من التأكيد أنّ الانصار كان لهم دور مهم فى أيام أمير المؤمنين عليه السلام اذ كان أغلب الانصار معه وفى جيشه.

وأما بنو هاشم فإنّ الطالبيين منهم كانوا يشكلون أهم قوى المعارضة السياسية ضد السلطات الحاكمة أيام الامويين والعباسيين ويشهد لذلک تاريخهم المضمخ بدماء الشهداء الزكية وأما بنو العباس فانهم اعتزلوا العمل السياسى العلنى ولم يشتركوا فى ثورات الطالبيين وكانوا يسعون لبناء وجودهم السياسى المستقل فى أخريات أيّام بنى أمية وكان موضع حركتهم السياسية فى خراسان بعيداً عن عاصمة الدولة الأموية وتمكنوا بعد ذلک من القضاء على الدولة الاموية ولكنهم اتبعوا سياسية قريش والسياسية الأموية فى التضييق على الطالبيين والقضاء عليهم.

5 _ عمل الشيعة فى المدّة التى كانوا يمثلون فيها أهم قوى المعارضة السياسية والفكرية إلى التأكيد على حق أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام

بالخلافة وانحصار هذا الحق بهم، الأمر الذى كانوا يتعرضون بسببه إلى مختلف ألوان التحجيم والمضايقات حتى نفى أبو ذر إلى الشام ثم إلى الربذة وديس فى بطن عمار وقطع عطاء أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم سنة كاملة وتوج جهاد الشيعة بإختيار الأمة أمير المؤمنين عليه السلام خليفة لهم بعد سنوات طويلة من الظلم والتحجيم.

6 ـ بعد أن تولى أمير المؤمنين عليه السلام الحكم اصطف القرشيون مع بنى أمية ضد دولته المباركة وجندوا كل طاقاتهم للقضاء على دولته الكريمة وكاد أمير المؤمنين عليه السلام أن يبسط نفوذه فى كل أرجاء الدولة الاسلامية بعد أن انهى تمرد الناكثين والمارقين وكاد أن ينهى تمرد القاسطين فى الشام إلاّ أنّ عصيان الزعامات القبلية وعدم التزامهم بأوامر أمير المؤمنين عليه السلام ادّى إلى تفويت أعظم الفرص على أهل الكوفة والتى ادّت إلى حرمان الأمة وإلى اليوم من بركات حكم أمير المؤمنين عليه السلام ومن فرص العدل والعلم والتطور.

المحتويات

مقدمة اللجنة العلمية. 5

المقدمة. 9

الضرورة الداعية لكتابة البحث... 11

معوقات البحث... 13

بين يدى البحث... 14

الفصل الأول:

الأوضاع السياسية للدولة الإسلامية بعد غزوة الأحزاب

صلح الحديبية وأثره فى واقع المسلمين السياسى.. 23

فتح مكة وأثره فى الواقع السياسى.. 25

الوضع السياسى بعد فتح مكة. 26

الصراع مع الدول الكبرى.. 27

تحديات المرحلة الجديدة 28

المخاطر التى واجهت الدولة. 32

الأوضاع السياسية بعد حجة الوداع. 33

محاولات النبى صلى الله عليه وآله وسلم إفشال مخطط القرشيين.. 37

المدينة عند وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم.. 41

الفصل الثانی:

أبو بکر فی مواجهة التحدیات

أ _ التحدیات داخل المدینة. 49

المواجهة بین أمیر المؤمنین علیه السلام والسلطة الحاکمة. 50

الزهراء علیها السلام تتحدی.. 52

أمیر المؤمنین علیه السلام فی المواجهة. 54

الهجوم الثانی علی دار فاطمة علیها السلام. 55

أمیر المؤمنین علیه السلام فی المسجد النبوی.. 57

الشیعة فی مواجهة السلطة. 58

ب _ التحدیات خارج المدینة. 60

التحول فی الوضع الشیعی.. 62

أوضاع الشیعة بعد وفاة النبی صلی الله علیه وآله وسلم.. 63

تطورات التصدی الشیعی.. 65

طلبت منهما الزهراء علیها السلام أن یصدقاها الحدیث لتستبین صحة. 68

الفصل الثالث:

الشیعة فی عهد عمر بن الخطاب

اعتراض القرشیین علی تنصیب عمر. 74

عمر فی مواجهة التحدیات... 75

طبیعة التحدیات... 76

الشیعة فی مواجهة المخطط.. 82

الشورى العمرية. 85

ص: 157

الفصل الرابع:

الأوضاع السياسية أيام عثمان بن عفان

تطور الأزمات السياسية. 96

سياسة العائلة الأموية فى مواجهة المعارضين.. 97

القضاء على عثمان. 102

أوضاع البلاد أبان مقتل عثمان. 105

الأوضاع بعد قتل عثمان. 108

الفصل الخامس: الدولة العلوية

تحديات الدولة العلوية. 114

القوى السياسية وتأثيرها فى الساحة الإسلامية. 115

تطورات الأوضاع السياسية قبل معركة الجمل.. 116

البصرة فى تخطيط الناكثين.. 122

نتائج حرب البصرة 128

وقعة الجمل فى الإعلام المعادى لأمير المؤمنين عليه السلام. 129

اختيار الكوفة عاصمة للدولة العلوية. 131

أوضاع الشام. 132

ما قبل صفين.. 134

معركة صفين.. 135

قصة الحكمين.. 142

معركة النهروان. 143

أوضاع الدولة بعد سقوط مصر. 145

الأوضاع السياسية فى خلافة الإمام الحسن عليه السلام. 147

نتيجة البحث... 151

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الحسينية المقدسة

تأليف

اسم الكتاب

ت

السيد محمد مهدى الخرسان

السجود على التربة الحسينية

1

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية

2

زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو

3

الشيخ على الفتلاوى

النوران ـــــ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــ الطبعة الأولى

4

الشيخ على الفتلاوى

هذه عقيدتى ـــ الطبعة الأولى

5

الشيخ على الفتلاوى

الإمام الحسين عليه السلام فى وجدان الفرد العراقى

6

الشيخ وسام البلداوى

منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان

7

السيد نبيل الحسنى

الجمال فى عاشوراء

8

الشيخ وسام البلداوى

ابكِ فإنك على حق

9

الشيخ وسام البلداوى

المجاب بردّ السلام

10

السيد نبيل الحسنى

ثقافة العيدية

11

السيد عبد الله شبر

الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن

12

الشيخ جميل الربيعى

الزيارة تعهد والتزام ودعاء فى مشاهد المطهرين

13

لبيب السعدى

من هو؟

14

السيد نبيل الحسنى

اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟

15

ص: 159

الشيخ على الفتلاوى

المرأة فى حياة الإمام الحسين عليه السلام

16

السيد نبيل الحسنى

أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم

17

السيد محمدحسين الطباطبائى

حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)

18

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الصغرى

19

السيد ياسين الموسوى

الحيرة فى عصر الغيبة الكبرى

20

الشيخ باقر شريف القرشى

حياة الإمام الحسين بن على (عليهما السلام) ___ ثلاثة أجزاء

21 __ 23

الشيخ وسام البلداوى

القول الحسن فى عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام

24

السيد محمد على الحلو

الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة

25

الشيخ حسن الشمرى

قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام

26

السيد نبيل الحسنى

حقيقة الأثر الغيبى فى التربة الحسينية

27

السيد نبيل الحسنى

موجز علم السيرة النبوية

28

الشيخ على الفتلاوى

رسالة فى فن الإلقاء والحوار والمناظرة

29

علاء محمد جواد الأعسم

التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمى (LC)

30

السيد نبيل الحسنى

الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام

31

السيد نبيل الحسنى

الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)

32

الدكتور عبدالكاظم الياسرى

الخطاب الحسينى فى معركة الطف ـــــ دراسة لغوية وتحليل

33

الشيخ وسام البلداوى

رسالتان فى الإمام المهدى

34

الشيخ وسام البلداوى

السفارة فى الغيبة الكبرى

35

السيد نبيل الحسنى

حركة التاريخ وسننه عند على وفاطمة عليهما السلام (دراسة)

36

السيد نبيل الحسنى

دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء ـــ بين النظرية العلمية والأثر الغيبى (دراسة) من جزءين

37

الشيخ على الفتلاوى

النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـــــ الطبعة الثانية

38

شعبة التحقيق

زهير بن القين

39

السيد محمد على الحلو

تفسير الإمام الحسين عليه السلام

40

ص: 160

الأستاذ عباس الشيبانى

منهل الظمآن فى أحكام تلاوة القرآن

41

السيد عبد الرضا الشهرستانى

السجود على التربة الحسينية

42

السيد على القصير

حياة حبيب بن مظاهر الأسدى

43

الشيخ على الكورانى العاملى

الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها

44

جمع وتحقيق: باسم الساعدى

السقيفة وفدک، تصنيف: أبى بكر الجوهرى

45

نظم وشرح: حسين النصار

موسوعة الألوف فى نظم تاريخ الطفوف ـــ ثلاثة أجزاء

46

السيد محمد على الحلو

الظاهرة الحسينية

47

السيد عبد الكريم القزوينى

الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام

48

السيد محمد على الحلو

الأصول التمهيدية فى المعارف المهدوية

49

الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد

نساء الطفوف

50

الشيخ محمد السند

الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد

51

السيد نبيل الحسنى

خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت فى امرأة - 4 مجلد

52

الشيخ على الفتلاوى

السبط الشهيد - البُعد العقائدى والأخلاقى فى خطب الإمام الحسين عليه السلام

53

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹